

تعظيم الله في قصص الأنبياء عليهم السلام

والهدايات القرآنية في ذلك

كتبه/

أ.د. محمد بن عبدالعزيز بن محمد العواجي

الأستاذ بقسم التفسير وعلوم القرآن

كلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية

الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية

محرم ١٤٤١ هـ

## المقدمة

الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره ونستهديه، ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ، بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة وكشف الله به الغمة، تركنا على بيضاء نقية ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك، فصلوات ربي وسلامه عليه وعلى آل بيته وأصحابه ومن سار على هديه واستن بسنته إلى يوم الدين .. وبعد:

الأنبياء صلوات الله عليهم جميعاً بشر من آحاد البشر، اصطفاهم الله بأن جعلهم أنبياء وأهلهم لذلك بالعلم والمعرفة الصحيحة، لأنه لا يمكن أن يُعلموا الناس ويرشدهم إلى الله تعالى بدون تعظيم، وهذا التعظيم الذي تحلوا به، مؤيدٌ من عند الله تعالى، إذ لا يُقرِّهم الله على غير الحقِّ، بل مدحهم وأثنى عليهم بذلك، فلا غرابة أن نقول أن هؤلاء الأنبياء أحقُّ من يقتدى بهم في تعظيم الله. ولتلك الفئة الذين اصطفاهم الله أنبياءً عنايةً خاصةً من الله تعالى، فالله تعالى هيئهم لحمل وتبليغ رسالته للناس، فتحلوا بكل أنواع التعظيم لله؛ والأخذ بأسبابه.

ولقد فقهه أنبياء الله ورسله عليهم الصلاة والسلام هذه المسألة فقهاً عظيماً فكانوا يدعون أقوامهم ومن أرسلوا إليهم يدعونهم إلى تعظيم الله جل وعلا وإجلاله، تارة بذكر الضد كما فعل نوح عليه الصلاة والسلام لما قال لقومه: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ۗ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ۗ﴾ ألم ترأى كيف خلق الله سبع سموات طباقاً ﴿١٥﴾ وجعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجاً ﴿١٦﴾ والله أنبتكم من الأرض نباتاً ﴿١٧﴾ ثم يعيدكم فيها ويخرجكم إخراجاً ﴿١٨﴾ [نوح: ١٣-١٨]، كل ذلك ليلفت انتباههم إلى تعظيم الله جل وعلا وإجلاله، وذكر ماله من عظمة وملكوت سبحانه تبارك وتعالى وبحمده.

ولا شك أن تعظيم الله عز وجل من أجل العبادات القلبية التي تظهر آثارها على الجوارح من خلال المسارعة إلى كل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة. فلولا وجود نوع تعظيم الله عز وجل في القلب لما صبر الناس على طاعة الله، وعن معصية الله، وعلى أقدار الله المؤلمة.

وعلى قدر تعظيم الله تعالى في القلب يكون إحسان العبادة وإتمامها وإكمالها وإتمامها. وهذا البحث محاولة لعرض تعظيم الله تعالى عند أنبيائه عليهم الصلاة والسلام - الذين اعتنى بهم الله تبارك وتعالى، ورباهم، وعلمهم، وأهلهم لحمل رسالته- وهي محاولة على وجه الإجمال والتمثيل فقط، مراعاةً لعدم الإطالة، لأن المقصود هو إيصال الفكرة، وعنوانته: "تعظيم الله في قصص الأنبياء عليهم السلام، والهدايات القرآنية في ذلك" وذلك ضمن مؤتمر: [تعظيم الله].

### سبب اختيار الموضوع :

- الحاجة الشديدة لمنهج رباني في تعظيم الله عز وجل.
- ربط الأمة بالقرآن الكريم، والتأسي بسير الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.
- إبراز جانب تعظيم الله تعالى المتمثل في قصص أنبيائه في القرآن.
- حاجة الأمة إلى إحياء تعظيم الله في كافة شؤونها؛ لتكون منبراً يخرج أتباعاً وارثين تلك المهمة، وهي نشر تعظيم الله على الوجه المشروع وتبليغ الرسالة، وإيصال رحمة الله لخلقه.

### منهجية البحث :

المنهجية التي سلكتها في كتابة هذا البحث تتمثل في النقاط التالية:

- عرضت لمواقف الأنبياء عليهم الصلاة والسلام مرتبين تاريخياً.
- في كل قصة نقوم بالتعريف بمواقفه المؤثرة في تعظيمه لله، وأسس ووسائل وأساليب التعظيم ثم نتيجة ذلك وفوائده.
- بعض قصص الأنبياء لم أجد فيها مواقف كثيرة فلم ألتزم بذكرهم.
- حاولت الاختصار وعدم التطويل واكتفيت بإبراز مواقف التعظيم المشتهرة عند كل نبي دون تكرارها في قصة غيره.
- محاولة الفهم العميق، والإمعان القوي في نصوص الكتاب والسنة لاستخراج منهج التعظيم وأساليبه وأنواعه.
- اجتهدت قدر استطاعتي أن لا أذكر أمراً من أمور تعظيم الله عند أنبيائه عليهم الصلاة والسلام إلا وأدلل عليه من القرآن، وما يفسره من السنة، وأقوال أئمة السلف. مع الاجتهاد في استنباط أساليب التعظيم.
- اعتمدت على كتب التفسير بالمأثور خاصة للبحث في معاني الآيات، وعلى كتب التفسير عامة في صياغة البحث ومسائله.
- عزو الآيات المستشهد بها للسورة ورقم الآية عقب كل آية.
- التزمت إيراد الأحاديث الصحيحة فقط، ولم أستشهد بحديث اتفق على ضعفه.
- عزو الأحاديث للكتب المسندة، وعرض تصحيح أصحاب الشأن للحديث ما لم يكن في البخاري ومسلم أو فيهما.
- التزمت عدم ذكر الخلاف في المسائل الفقهية.

**خطة البحث:** يشتمل البحث على مقدمة وتمهيد وستة مباحث وخاتمة وفهارس.

**المقدمة وفي ضمنها:** أهمية الموضوع وأهدافه وخطته ومنهج كتابته.

**تمهيد في أهمية تعظيم الله ، وأثر قصص الأنبياء في تعظيم الله.**

**المبحث الأول: مواقف من تعظيم الله في قصص آدم ونوح وهود عليهم السلام وهداياتها:**

الموقف الأول: تعظيم المعبود سبحانه وتعالى وإظهار أثر أسمائه وصفاته وأفعاله في قصة آدم عليه السلام.

الموقف الثاني: تعظيم معصية الله ، وبيان خطورها.

الموقف الثالث: تعظيم أن تنتهك حرمانه ومعالجة الذنب بالتوبة لله.

الموقف الرابع: عرض الأدلة والبراهين التي تدل على عظمة الله في قصة نوح عليه الصلاة والسلام مع قومه.

الموقف الخامس: علاج مشكلة الكبر والترف في قصة هود عليه الصلاة والسلام.

الموقف السادس: إرشادهم للحق ونهيهم عن الغي في قصة هود عليه الصلاة والسلام.

الموقف السابع: استعمال أسلوب الوعظ وتكراره في قصتي نوح وهود عليهما الصلاة والسلام.

**المبحث الثاني: مواقف من تعظيم الله في قصص إبراهيم عليه السلام وهداياتها:**

الموقف الأول: الدعاء والتضرع لله عز وجل مهما كان العمل.

الموقف الثاني: شهود المنة لله في كل الأحوال تعظيماً لله.

الموقف الثالث: العمل بالواجب وإشهار ذلك ليكون قدوة في تعظيم الله.

الموقف الرابع: الحرص والشفقة والرحمة بالمدعوين تعظيماً لله.

الموقف الخامس: تعلم التفكير في آيات الله وتدبر القرآن والاعتبار والتأثر الإيجابي.

**المبحث الثالث: مواقف من تعظيم الله في قصة لوط عليه السلام مع قومه وهداياتها:**

الموقف الأول: تعظيم الذنب وبيان خطره على مرتكبه.

الموقف الثاني: إيجاد البدائل الشرعية عن المحرمات.

الموقف الثالث: الخطب والمواعظ في الميادين العامة.

الموقف الرابع: الترغيب والترهيب.

الموقف الخامس: الحوار والمناقشة بالحسنى للمخالف والمخطئ.

الموقف السادس: عدم المداهنة فيما يخالف تعظيم الله بصراحة ووضوح.

الموقف السابع: التزام الحكمة والموعظة الحسنة في الدعوة والتعليم والتربية.

**المبحث الرابع: مواقف من تعظيم الله في قصص يعقوب ويوسف عليهما الصلاة والسلام وهداياتها:**

الموقف الأول: المسامحة والعفو .

الموقف الثاني: حسن التوكل والتذكير بالله.

الموقف الثالث: ترك الدنيا وإثارة الأشد تعظيماً لحرمات الله.

الموقف الرابع: الحرص على مصلحة الأفراد وصالحهم في الدنيا والآخرة.

الموقف الخامس: اغتنام الفُرص.

**المبحث الخامس: مواقف من تعظيم الله في قصص موسى وهارون عليهما الصلاة والسلام وهداياتها:**

الموقف الأول: استعمال القول اللين.

الموقف الثاني: الحوار والمناقشة بالحسنى للمخالف والمخطئ.

الموقف الثالث: شدة تعظيم الله سبحانه وتعالى.

**المبحث السادس: مواقف من تعظيم الله في قصص خاتم الأنبياء محمد ﷺ وهداياتها:**

الموقف الأول: التوحيد وتطبيقاته.

الموقف الثاني: التقوى جماع الخير.

الموقف الثالث: عبادة التسبيح والحمد.

الموقف الرابع: حسن التوكل.

الموقف الخامس: حسن الخلق.

الموقف السادس: رفع ذكر النبي ﷺ خصوصاً والأنبياء عموماً.

**الخاتمة**

**ثبت المراجع**

**فهرس الموضوعات**

والله سبحانه أسأل أن ينفع بهذا العمل وأن يجعله حجة لنا لا علينا وأن يلهمنا العلم النافع والعمل الصالح، وأن يجبر تقصيري في هذا البحث، وأن يغفر ما كان فيه من خطأ وزلل ، وأن يبارك فيه.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين.

كتبه/ أ.د. محمد بن عبدالعزيز بن محمد العواجي

الأستاذ بقسم التفسير وعلوم القرآن

كلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية

الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية

## تمهيد في أهمية تعظيم الله، وأثر قصص الأنبياء في تعظيم الله:

إن تعظيم الله تعالى وتعظيم ما يستلزم ذلك من شعائر الله تعالى وحدوده من أجلّ العبادات القلبية وأهم أعمال القلوب، التي يتعين تحقيقها والقيام بها، وتربية الناس عليها، وبالذات في هذا الزمان الذي ظهر فيه ما يخالف تعظيم الله تعالى من الاستخفاف والاستهزاء بشعائر الله تعالى، والتسفيه والازدراء لدين الله تعالى وأهله. إن الإيمان بالله تعالى مبني على التعظيم والإجلال له عز وجل، قال الله تعالى: ﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ﴾ [مرم: ٩٠]. قال الضحاك بن مزاحم في تفسير الآية: "يتشققن من عظمة الله عز وجل" (١).

قال ابن القيم عن منزلة التعظيم: "هذه المنزلة تابعة للمعرفة، فعلى قدر المعرفة يكون تعظيم الرب تعالى في القلب، وأعرف الناس به أشدهم له تعظيماً وإجلالاً، وقد ذم الله تعالى من لم يعظمه حق عظمته، ولا عرفه حق معرفته، ولا وصفه حق صفته، قال تعالى: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ [نوح: ١٣]، قال ابن عباس ومجاهد: "لا ترجون لله عظمة"، وقال سعيد بن جبير: "ما لكم لا تعظمون الله حق عظمته"، وروح العبادة هو الإجلال والمحبة، فإذا تحلى أحدهما عن الآخر فسدت" (٢). وبالجملة يجب تعظيم شعائر الله تعالى جميعها، كما قال تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعِظِرْ شَعْرَهُ إِلَّا بِرَأْيِ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ [الحج: ٣٢].

كان رسول الله ﷺ يسلك في دعوته الناس أساليب شتى، ومن ذلك ذكر القصص الواقعية الصحيحة؛ فقد كان رسول الله ﷺ يذكر لأمته من قصص الأمم السابقة ما يكون فيه عبرة لمن يعتبر، وذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد، ذلك أن لذكر القصص الواقعية أثراً لا ينكر، وسلطاناً بالغاً على النفوس. وتعظيم الله جل وعلا وإجلاله تباركت أسماؤه وجل ثناؤه أمر تقضيه الفطر السليمة، وجاءت به الشرائع القويمية، وإن الله تبارك وتعالى لا رب غيره ولا إله سواه؛ ولذلك كلما ازداد الإنسان بالله علماً ازداد الله تعظيماً وإجلالاً، فلما كان الرسل هم أعظم الناس علماً بالله جل وعلا كان أولئك المرسلون هم أكثر الخلق وأشد العباد إعظاماً وإجلالاً لله تبارك وتعالى؛ لأنهم يعلمون صفاته العلى وأسمائه الحسنى، ويعلمون ما لله من سلطة وقوة وجبروت لا تكون لأحد غيره سبحانه وبحمده تبارك اسمه وجل ثناؤه، وهذا التعظيم ورد على هيئة أمور عدة :

فمن ذلك: قال الله جل وعلا: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ [الزمر: ٦٧]، وجاء في حديث ابن مسعود رضي الله عنه: أن حبراً من أحبار اليهود قدم إلى النبي ﷺ فقال: يا محمد! إننا نجد في كتبنا أو في علمنا أن الله جل وعلا يجعل السماوات على إصبع، والأرضين على إصبع، والشجر على إصبع، والماء والثرى على إصبع، وسائر الخلق على إصبع، ثم يقول: أنا الملك، فضحك ﷺ حتى بدت نواجذه؛ تقريراً وتصديقاً لما قاله الحبر اليهودي، فأنزل الله جل وعلا قوله: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر: ٦٧].

### مفهوم القصة في القرآن الكريم

القصة لغة: الخبر، وهو القَصَص، وقصَّ علي خبره يقصه قصاً: أورده. ومنه: القص وهو تتبع الأثر، والقَصَص: الأثر، والقَصَص: الأخبار المتتبعة (٣). وللقصة معانٍ أخرى متقاربة، فهي تأتي بمعنى: الخبر، والأمر، والحديث،

(١) العظمة لأبي الشيخ: ٣٤١/١ (٧٤).

(٢) مدارج السالكين: ٤٩٥/٢.

(٣) مفردات ألفاظ القرآن ص ٦٧١.

والجملة من الكلام<sup>(١)</sup>. والقَصص: الخبر المقصوص- بالفتح- وُضِع موضع المصدر حتى صار أغلب عليه، والقَصص -بكسر القاف: جمع القصة التي تكتب<sup>(٢)</sup>.

فمدلول القصة في اللغة واضح، وواسع، ولكن بعض المحدثين يختار مدلولاً للقصة فيه بعض القيود، وهو: الحكاية عن خبر وقع في زمنٍ مضى لا يخلو من عبرة، فيه شيء من التطويل في الأداء<sup>(٣)</sup>.

القصة اصطلاحاً: أما مفهوم القصة في القرآن الكريم قد تتفاوت فيه وجهات النظر، وذلك نظراً لما في القصة القرآنية من خصائص تميزها عن غيرها؛ من صدقٍ في الواقعية التاريخية، وجاذبية في العرض والبيان، وشمولية في الموضوع، وعلو في الهدف، وتنوع في المقصد والغرض، ووضوح في الإعجاز<sup>(٤)</sup>.

- فمدلول القصة في القرآن الكريم: هو مدلولها اللغوي مضافاً إليه تلك الخصائص والسمات التي تميز بها القَصص القرآني على غيره... والله تعالى أعلم.

- وللقصة ألفاظ تداخلها في مدلولها كثيراً، ك: النبأ، والخبر، والمثل<sup>(٥)</sup>، ولا يتسع المقام لتفصيل ذلك.

### أهمية القصة في القرآن الكريم<sup>(٦)</sup>:

ورودها منسوبة إلى رب العزة والجلال في قوله تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾ [يوسف: ٣]. أمر الله رسوله ﷺ أن يقص على الناس ما أوحى إليه: ﴿فَأَقْصِبْ قَصَصَ لَعَاهُمْ لِيَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٦]، فالقصة معلم بارز من معالم القرآن الكريم لتوضح الحقائق وإزالة الشبهات: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ كَثْرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [النمل: ٧٦]، والقَصُّ بالمفهوم العام كان من مهمات الرسل عليهم الصلاة والسلام: ﴿يَمَعَشَرُ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ الرَّيَّاتُكْرُ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي﴾ [الأنعام: ١٣٠]، وحياة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام هي محور القَصص، وهم موضع القدوة والأسوة: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ أَقْتَدَ﴾ [الأنعام: ٩٠].

وقصص القرآن أصدق القصص؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٨٧]، وذلك لتمام مطابقتها على الواقع وأحسن القصص لقوله تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ﴾ [يوسف: ٣]، وذلك لاشتمالها على أعلى درجات الكمال في البلاغة وجمال المعنى.

وأنفع القصص؛ لقوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [يوسف: ١١١]، وذلك لقوة تأثيرها في إصلاح القلوب والأعمال والأخلاق.

وأسلوب القَصص: هو أقرب الوسائل التربوية إلى فطرة الإنسان، وأكثر العوامل النفسية تأثيراً فيه، وذلك لما في هذا الأسلوب من المحاكاة لحالة الإنسان نفسه، فتراه يعيش بكل كيانه في أحداث القصة، وكأنه أحد أفرادها، بل وكأنه هو (بطل القصة) أو (الشاهد فيها)، فيرى من خلالها كل من الصالح والطالح ما في نفسه من أحاسيس، وما في خَلده من أحداث، وما يجري حوله من أحداث وحوار.. كل ذلك من خلال تجاوبه

(١) ينظر: لسان العرب: ٧/٧٣-٧٤.

(٢) المصدر السابق.

(٣) بحوث في قصص القرآن ص ٤١.

(٤) الدعوة إلى الله تعالى ص ١٤٦.

(٥) الدعوة إلى الله تعالى ص ١٤٥.

(٦) ملخصاً من كتاب الدعوة إلى الله تعالى ص: ١٤٣-١٤٤.

مع القصة.. فالقصة لا سيمّا إن كانت بأسلوب شيق، وبيان رائق لها من التأثير والجادبية مالا تبلغه أيّ وسيلة أخرى من الوسائل الدعوية أو التعليمية أو التربوية، فكيف إذا كانت بأسلوب ربانيّ معجز، له من الواقعية والصدق ودقة التصوير، ومن السمات ما ليس لغيره!!

ولذلك "كانت القصة ولا تزال مدخلا طبيعيا يدخل منه أصحاب الرسائل والدعوات، والهداة، والقادة، إلى الناس وإلى عقولهم وقلوبهم، ليلقوا فيها بما يريدونهم عليه، من آراء، ومعتقدات، وأعمال"<sup>(١)</sup>، ولقد أصبحت الفنون كلها اليوم من وراء القصة<sup>(٢)</sup>.

و يتميز القصص القرآنيّ عن غيره من سائر القصص بخصائص يعلو بها جلاله وقداسته، ويزداد بها بلاغة وإعجازاً، ويعظم بها أهمية وتأثيراً، وبهذه الخصائص استحق أن يُوسم بأحسن القصص في قوله تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾. فالغاية الأولى من قصص القرآن الكريم هي تأملها وأخذ العبرة منها، وتصحيح العقائد والأخلاق، حتى يصلح الفرد والمجتمع، وليست الغاية قاصرة على إمتاع النفوس بسماع قصص مسلية أو بطولات خيالية، أو إظهار براعة أدبية مجردة عن هدف الإصلاح - كما هو الحال في عامة الفن القصصي - وليست الغاية سرداً تاريخياً جافاً، كما هي مهمة المؤرخين، فالقرآن الكريم بكل ما فيه من قصص وغيرها هو كتاب هداية وعبرة بالدرجة الأولى، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.

هذا ما يتعلق بأهداف القصص القرآنيّ عموماً، أما إن أردنا تفصيلاً أكثر فإننا سنجد أنفسنا أمام بحر لا ساحل له ولا قرار، حيث إن المتدبر لقصص القرآن الكريم واجدٌ في كل قصة، بل في كل آية، وفي كل كلمة والثغاة قرآنية، ومن الأهداف والعبر والإشارات واللطائف ما تعجز عنه الألسن ولا تبلغ مداه الأفهام، وصدق الله العظيم إذ يقول مبيناً تلك الأهداف العظيمة من القصص: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.

وتأمل كيف جاء لفظ ﴿عِبْرَةٌ﴾ منكرًا ليفيد الشمول والعموم؛ ففي قصصهم عبرة عن كل شيء، وفي كل شيء من قصصهم عبرة.. ولكن من يستخرج تلك الدرر والجواهر؟!.. إلا من آتاه الله عقلاً نيراً وقلباً مبصراً.. ولذلك جعل العبرة في الآية السابقة قاصرة ﴿لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾.. ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق: ٣٧]. والله تعالى أجل وأعلم.

ولما كانت للقصص الواردة في القرآن هذه الآثار على المستمع، واختصار التأثير في القدوة والنموذج في قصص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وواقعية التعظيم لله عزّ وجلّ، وضبطه بين الإفراط والتفريط؛ جاءت الإشارة في هذا البحث إلى نماذج من هذه المواقف العظيمة.

(١) القصص القرآنيّ في منطوقه ومفهومه ص ٧.

(٢) المصدر السابق.

## المبحث الأول: مواقف من تعظيم الله في قصص آدم ونوح وهود عليهم السلام وهداياتها:

الموقف الأول: تعظيم المعبود سبحانه وتعالى وإظهار أثر أسمائه وصفاته وأفعاله في قصة آدم عليه السلام:

ويتجلى ذلك في قصة خلق الله آدم وإسجاد ملائكته له: قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [البقرة: ٣٠-٣٣].

"قال الله تعالى للملائكة: ﴿إِنِّي أَعْلَمُ﴾ من هذا الخليفة ﴿مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾؛ لأن كلامكم بحسب ما ظننتم، وأنا عالم بالظواهر والسرائر، وأعلم أن الخير حاصل بخلق هذا الخليفة.. فلو لم يكن في ذلك، إلا أن الله تعالى أراد أن يجتبي منهم الأنبياء والصديقين، والشهداء والصالحين، ولتظهر آياته للخلق.

﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ﴾ أي: نزهك من الاعتراض منا عليك، ومخالفة أمرك. ﴿لَا عِلْمَ لَنَا﴾ بوجه من الوجوه ﴿إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا﴾ إياه، فضلا منك وجودا، ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ العليم الذي أحاط علما بكل شيء، فلا يغيب عنه ولا يعزب مثقال ذرة في السماوات والأرض، ولا أصغر من ذلك ولا أكبر. الحكيم: من له الحكمة التامة التي لا يخرج عنها مخلوق، ولا يشذ عنها مأمور، فما خلق شيئا إلا لحكمة: ولا أمر بشيء إلا لحكمة، والحكمة: وضع الشيء في موضعه اللائق به، فأقروا، واعترفوا بعلم الله وحكمته، وقصورهم عن معرفة أدنى شيء، واعتزافهم بفضل الله عليهم؛ وتعليمه إياهم ما لا يعلمون.

﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ وهو ما غاب عنا؛ فلم نشاهده، فإذا كان عالما بالغيب؛ فالشهادة من باب أولى، ﴿وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ﴾ أي: تظهرون ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾. وفي هذه الآيات من العبر والآيات؛ إثبات الكلام لله تعالى؛ وأنه لم يزل متكلمًا؛ يقول ما شاء؛ ويتكلم بما شاء؛ وأنه عليم حكيم، وفيه أن العبد إذا خفيت عليه حكمة الله في بعض المخلوقات والمأمورات فالوجوب عليه؛ التسليم؛ واتهام عقله؛ والإقرار لله بالحكمة، وفيه اعتناء الله بشأن الملائكة؛ وإحسانه بهم؛ بتعليمهم ما جهلوا؛ وتبنيهم على ما لم يعلموه.. وفضيلة العلم من وجوه؛ منها: أن الله تعرف لملائكته؛ بعلمه وحكمته، ومنها: أن الله عرفهم فضل آدم بالعلم" (١).

"عرفهم تعالى بنفسه بكمال علمه، وأنه يجب الاعتراف لله بسعة العلم، والحكمة التي من جملتها أنه لا يخلق شيئا عبثا، ولا لغير حكمة، ثم بين لهم على وجه التفصيل، فخلقه بيده تشريفا له على جميع المخلوقات" (٢).

الموقف الثاني: تعظيم معصية الله وخطرها:

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٣٤]. كان

(١) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص ٤٩ باختصار.

(٢) تيسير اللطيف المنان للسعدي ص ٣٠٩.

سجود الملائكة لآدم عليه السلام (١) عبادة وطاعة لله، وقربة يتقربون بها إليه وهو لآدم تشریف وتكريم وتعظيم (٢)، "أراد الله أن يظهر التعظيم والاحترام لآدم من الملائكة ظاهراً وباطناً، فقال للملائكة: ﴿أَسْجُدُوا لِآدَمَ﴾ احتراماً له وتوقيراً وتبجيلاً، وعبادة منكم لربكم، وطاعة ومحبة وذلاً" (٣). "فامثلوا أمر الله؛ وبادروا كلهم بالسجود، ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى﴾ امتنع عن السجود؛ واستكبر عن أمر الله وعلى آدم، قال: ﴿ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾ [الإسراء: ٦١] وهذا الإباء منه والاستكبار؛ نتيجة الكفر الذي هو منطوق عليه؛ فتبينت حينئذ عداوته لله ولآدم وكفاره واستكباره" (٤). "ولهذا لما جرى من إبليس ما جرى، انحط من مرتبته العالية إلى أسفل السافلين، فقال الله له: ﴿قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا﴾ أي: من الجنة، ﴿فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا﴾ [الأعراف: ١٣]؛ لأنها دار الطيبين الطاهرين، فلا تليق بأخبث خلق الله وأشهرهم. ﴿فَأَخْرَجْنَاكَ مِنَ الصُّبُرِينَ﴾ (٥) أي: المهانين الأذلين، جزاء على كبره وعجبه بالإهانة والذل" (٥).

### الموقف الثالث: تعظيم الله أن تنتهك حرمانه ومعالجة الذنب بالتوبة لله:

﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ٣٧].

"إن الله جعل هذه القصة لنا معتبراً، وأن الحسد والكبر والحرص من أخطر الأخلاق على العبد، فكبر إبليس وحسده لآدم صيره إلى ما ترى، وحرص آدم وزوجه حملهما على تناول الشجرة، ولولا تدارك رحمة الله لهما لأودت بهما إلى الهلاك، ولكن رحمة الله تكمل الناقص، وتجبر الكسير، وتنجي الهالك، وترفع الساقط. وأنه ينبغي للعبد إذا وقع في ذنب أن يبادر إلى التوبة والاعتراف، ويقول ما قاله الأبوان من قلب خالص، وإنابة صادقة؛ فما قص الله علينا صفة توبتهما إلا لتقتدي بهما، فنفوز بالسعادة، وننجو من الهلكة؛ وكذلك ما أخبرنا بما قاله الشيطان -من توعدهنا وعزمه الأكيد على إغوائنا بكل طريق- إلا لنتسعد لهذا العدو الذي تظاهر بهذه العداوة البليغة المتأصلة، والله يجب منا أن نقاومه بكل ما نقدر عليه من تجنب طرقه وخطواته، وفعل الأسباب التي يخشى منها الوقوع في شباكه، ومن عمل الحصون من الأوراد الصحيحة، والأذكار القلبية، والتعوذات المتنوعة، ومن السلاح المهلك له من صدق الإيمان، وقوة التوكل على الله، ومراغمته في أعمال الخير، ومقاومة وساوسه والأفكار الرديئة التي يدفع بها إلى القلب كل وقت بما يضادها، ويبطلها من العلوم النافعة والحقائق الصادقة" (٦).

(١) السجود يكون على وجهين: النوع الأول: يكون تعظيماً وتقرباً إلى من سُجِدَ له، وهذا سُجود عبادة ولا يكون إلا لله وحده في جميع الشرائع، النوع الثاني: سُجود تحية وتكريم وهذا هو السُّجود الذي أمر الله الملائكة به لآدم فسجدوا له تكريماً، وهو منهم عبادة لله سبحانه بطاعتهم له إذ أمرهم بالسجود، وأما سُجود أبوي يُوسُف وإخوته له فكذلك هو من سُجود التحية والتكريم، وقد كان جائزاً في شريعتهم، وأما في الشريعة التي جاء بها خاتم النبيين محمد ﷺ فلا يجوز السجود فيها لغير الله مطلقاً.

(٢) انظر: جامع البيان ٣٠١/١، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم ٨٣/١-٨٤، والوسيط في تفسير القرآن المجيد للواحدي ١١٩/١، ومعالم التنزيل للبيهقي ٣٥/١.

(٣) تيسير اللطيف المنان ص ١٧٤.

(٤) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص ٤٩.

(٥) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص ٢٨٤.

(٦) تيسير اللطيف المنان للسعدي ص ٣٢٣-٣٢٤.

## الموقف الرابع: عرض الأدلة والبراهين التي تدل على عظمة الله:

وذلك بعد الحوار والجدل بينه وبين قومه في قوله تعالى: ﴿ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ۗ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ۗ ﴾ [نوح: ١٣- ١٤]. فقد استحقوا التأنيب والتوبيخ بأسلوب حكيم حيث أن "الأطوار دالة على حكمة الخالق وعلمه وقدرته، فإن تطور الخلق من طور إلى طور، كل ذلك والذات واحدة، فهو دليل على تمكن الخالق من كفايات الخلق والتبديل في الأطوار، وهم يدركون ذلك بأدنى التفات الذهن، فكانوا محققين بأن يتوصلوا به إلى معرفة عظمة الله وتوقع عقابه، فالأطوار التي يعلمونها دالة على رفقه بهم في ذلك التطور، فهذا تعريض بكفرهم النعمة، ولأن الأطوار دالة على حكمة الخالق وعلمه وقدرته، فإن تطور الخلق من طور النطفة إلى طور الجنين إلى طور خروجه طفلاً إلى طور الصبا إلى طور بلوغ الأشد إلى طور الشيخوخة وطور الموت على الحياة وطور البلى على الأجساد بعد الموت، كل ذلك والذات واحدة، فهو دليل على تمكن الخالق من كفايات الخلق والتبديل في الأطوار، وهم يدركون ذلك بأدنى التفات الذهن، فكانوا محققين بأن يتوصلوا به إلى معرفة عظمة الله وتوقع عقابه؛ لأن الدلالة على ذلك قائمة بأنفسهم، وهل التصرف فيهم بالعقاب والإثابة إلا دون التصرف فيهم بالكون والفساد" (١).

## الموقف الخامس: علاج مشكلة الكبر والترف:

أنعم الله تعالى على قوم عادٍ بالقوة، فقاموا بصناعة حضارة قال الله عنها: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَرَّبُّكَ يُعَادِي ۖ ﴾ [إرم: ٦- ٨]. وقد تكبروا بقوتهم في صناعة هذه الحضارة؛ حتى قال الله عنهم: ﴿ فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ۗ ﴾ [فصلت: ١٥]. إن الحق أن يخضع العباد لله، وألا يستكبروا في الأرض، وهم من هم بالقياس إلى عظمة خلق الله. فكل استكبار في الأرض فهو بغير الحق، إنه شعور كاذب يحسه المتكبرون. وينسون: ﴿ أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ۗ ﴾، وقد حذرهم هود من الترف والتكبر على الناس به بقوله: ﴿ أَتَبْنُونَ بُكْرًا يَكُلُّ رِيعَ آيَةٍ تَعْبَثُونَ ۗ ﴾ [الشعراء: ١٢٣-١٢١]، فإن الكبر والترف مانع من تعظيم الله، بخلاف التواضع ففيه شهود منة الله عليهم.

فقد رأى من قومه تمحّضاً للشغل بأمور دنياهم، وإعراضاً عن الفكر في الآخرة والعمل لها والنظر في العاقبة، وإشراكاً مع الله في إلهيته، وانصرافاً عن عبادة الله وحده الذي خلقهم وأعمرهم في الأرض وزادهم قوة على الأمم، فانصرفت هماتهم إلى التعاضم والتفاخر واللهو واللعب" (٢) فأنذرهم بعظمة الله، ولكن لم يلقوا لها بالاً فأهلكهم الله.

## الموقف السادس: إرشادهم للحق ونهيهم عن الغي:

﴿ أَتَبْنُونَ بُكْرًا يَكُلُّ رِيعَ آيَةٍ تَعْبَثُونَ ۗ ﴾ [الشعراء: ١٢٨] وَتَخَذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿ فنوا "منازل وقصوراً؛ أي راجين الخلود في الدنيا، إشارة إلى أن عملهم ذلك، لقصّر نظرهم على الدنيا والإعجاب بالآثار، والتباهي بالمشيدات والغفلة عن أعمال المجدين البصيرين بالعواقب، الصالحين المصلحين.

(١) التحرير والتنوير ٢٩/٢٠١.

(٢) التحرير والتنوير ١٩/١٦٥.

فبئائها لا للحاجة إليها، بل لمجرد اللعب واللهو وإظهار القوة. ولهذا أنكروا عليهم ذلك. لأنه تضييع للزمان وإتعب للأبدان في غير فائدة. واشتغال بما هم في غنى عنه. وبما في الشغف به انصراف عن الجد في العمل، وصرف للأموال في غير ما خلقت له، من النظر للنفس والأهل والدين" (١).

"والعاقل ينبغي له أن يصون أوقاته النفيسة عن العبث الذي لا يكون سبب نجاته، وكيف يليق ذلك بمن الموت من ورائه" (٢)، فهو توجيه إلى أن ينفق الجهد، وتنفق البراعة، وينفق المال فيما هو ضروري ونافع، لا في الترف والزينة ومجرد إظهار البراعة والمهارة، "فكل بناء شامخ لا يكون لغاية شريفة محمودة؛ فهو عبث وهو باطل" (٣). فالبناء والأبهة إثمًا أن يكون دليلاً لعظمة الله فيؤول إلى شهود المنّة والقيام بالشكر؛ فهو خيرٌ على خير. وإثمًا أن يؤول إلى الفخر والحيلاء والكبرياء ونسيان المنعم المتفضل! فيكون نهايته الهلاك؛ لإخلال العبد بتعظيم الله. وهذا حال الرسل عليهم الصلاة والسلام مع أقوامهم جميعاً في مواقف كثيرة يطول استقصاؤها.

**الموقف السابع: استعمال أسلوب الوعظ وتكراره في قصتي نوح وهود عليهما الصلاة والسلام:**

"ومقام الموعظة أوسع من مقام تغيير المنكر، فموعظة هود عليه السلام متوجهة إلى ما في نفوسهم من الأدواء الروحية، وليس في موعظته أمر بتغيير ما بنوه من العلامات ولا ما اتخذوه من المصانع" (٤).  
وما من نبي أو رسولٍ إلا ووعظ قومه، وحثّهم، وكرر ذلك عليهم؛ حتى أهتموه بالجنون، وكادوا له المكائد، ولكن الله يأبى إلا أن يُنمّ نوره.

فإن الله عز وجل بحكمته قصّ علينا نبأ الأمم المجاورين لنا لنعبر بهم حين تذكّرتهم، وبما نتناقله جيلاً بعد جيل من خبرهم، وبما نشاهد من آثارهم، أو نمر به من ديارهم، أو نفهم من لغاتهم وطبائعهم، فإنّ تذكير الناس بما هو أقرب إلى عقولهم، وأنسب لأحوالهم، وأدخل في مداركهم؛ أولى من غيره، وقد أشار الله عز وجل إلى هذا في آخر قصة عاد فقال: ﴿وَلَقَدْ أَهَلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ مِّنَ الْقُرَىٰ وَصَرَفْنَا آيَاتِنَا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الأحقاف: ٢٧] (٥).

(١) محاسن التأويل ٤٦٧/٧ بتصرف يسير.

(٢) نظم الدرر للبقاعي ٣٧٨/٥.

(٣) تفسير ابن باديس في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير ص ٣٣٩.

(٤) التحرير والتنوير ١٦٦/١٩.

(٥) تيسير اللطيف المنان ص ١٩٣.

## المبحث الثاني: مواقف من تعظيم الله في قصص الخليل إبراهيم عليه السلام وهداياتها:

الموقف الأول: الدعاء والتضرع لله عز وجل مهما كان العمل :

قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾﴾ [البقرة: ١٢٧ - ١٢٩]. ففي الآية أدب الدعاء والتواضع لله تعالى: فقلوه: "﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا﴾ أي: عاملنا بفضلك، ولا ترده علينا؛ إشعاراً بالاعتراف بالتقصير؛ لحقارة العبد - وإن اجتهد- في جنب عظمة مولاه" (١).

إنه "استحضاراً لهذا الأمر ليقندي الناس به في إتيان الطاعات الشاقة مع الإبتهال في قبولها وليعلموا عظمة البيت المبني فيعظموه" (٢). إن "هذا الدعاء استتابه لما فرط من التقصير. فإن العبد، وإن اجتهد في طاعة ربه، فإنه لا ينفك عن التقصير من بعض الوجوه إما على سبيل السهو والنسيان، أو على سبيل ترك الأولى، فالدعاء منهما، عليهما السلام، لأجل ذلك" (٣).

والمشاعر ومواقع الأنسك من جملة الحكم فيها: أن فيها تذكيرات بمقامات الخليل وأهل بيته في عبادات ربه، وإيمان بالله ورسوله، وحث على الاقتداء بهم في كل أحوالهم الدينية وكل أحوال الرسل دينية، لقوله تعالى: ﴿وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة: ١٢٥]. الأمر بتطهير المسجد الحرام من الأنجاس، ومن جميع المعاصي القولية والفعلية؛ تعظيماً لله وإعانة وتنشيطاً للمتعبدين فيه، ومثله بقية المساجد لقوله عز وجل: ﴿وَطَهَّرَ بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ [الحج: ٢٦].

الموقف الثاني: شهود المنة لله في كل الأحوال تعظيماً لله.

إنَّ الجمع بين الدعاء لله بمصالح الدنيا والدين من سبيل أنبياء الله، والسعي في تحصيل الدين هو الأصل والمقصود الذي خلق له الخلق، والدنيا وسيلة ومعونة عليه؛ لدعاء الخليل لأهل البيت الحرام بالأمرين، وتعليه الدعاء بالأمر الديني لأنها وسيلة الشكر؛ فقال: ﴿وَأَرْزُقْهُمْ مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ [إبراهيم: ٣٧]. ومنه: الترغيب في أن يكون أهل الإنسان ومن يتولى شؤون بيته حازمين مستعدين لكل ما يراد منهم من الشؤون والقيام بمهمات البيت، فإن إبراهيم في الحال بادر إلى أهله فوجد طعام ضيوفه حاضراً لا يجوح إلا إلى تقديمه.

الموقف الثالث: العمل بالواجب وإشهار ذلك ليكون قدوة في تعظيم الله.

إن من فوائد قصة بناء الكعبة: "أن العامل - كما عليه أن يتقن عمله ويجتهد في إيقاعه على أكمل الوجوه - فعليه مع ذلك أن يكون بين الخوف والرجاء، وأن يتضرع إلى ربه في قبوله وتكميل نقصه، والعفو عما وقع فيه من خلل أو نقص، كما كان إبراهيم وإسماعيل يرفعان القواعد من البيت، وهما بهذا الوصف الكامل. ومما اشتملت عليه قصة إبراهيم: مشروعية الضيافة وآدابها، فإن الله أخبر عن ضيفه أنهم مكرمون، يعني: أنهم كرماء على الله، وأيضاً إبراهيم أكرمهم بضيافته قولاً وفعلاً، فإكرام الضيف من الإيمان، وأنه خدمهم بنفسه وبأدب بضيافتهم قبل كل شيء، وأتى بأطيب ماله: عجل حنيد سمين، وقربه إليهم ولم يجوحهم إلى الذهاب إلى عمل آخر، وعرض عليهم الأكل بلفظ رقيق فقال: ألا تأكلون؟" (٤).

(١) نظم الدرر ١/٢٤٢.

(٢) روح المعاني ١/٣٨٣.

(٣) محاسن التأويل ١/٣٩٨.

(٤) تيسير اللطيف المنان ص ٣٧٦ باختصار .

وفيما "ذكره في قصة نوح وإبراهيم وموسى وهارون وإلياس: ﴿سَلَّمَ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ﴾ [الصفات: ٧٩]، وقوله: ﴿سَلَّمَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾ [الصفات: ١٠٩]، يتبعها بقوله: ﴿كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ [الصفات: ١١٠] فوعد الباري أن كل محسن في عبادته محسن إلى عبادته أن الله يجزيه الشاء الحسن والدعاء من العالمين بحسب إحسانه، وهذا ثواب عاجل وآجل، وهو من البشرى في الحياة الدنيا، ومن علامات السعادة"<sup>(١)</sup>.

#### الموقف الرابع: الحرص والشفقة والرحمة بالمدعوين تعظيماً لله:

مشروعية السلام، وأن المبتدئ فيه هو الداخل وهو الماشي، وأنه يجب رده، ومشروعية الوقوف على اسم من يتصل بك من صاحب ومعامل وضيف لقوله: ﴿سَلَّمَ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ﴾ [الذاريات: ٢٥]. أي لا أعرفكم فأحب أن تعرفوني بأنفسكم، وهذا اللطف من قوله أنكرتكم ونحوه.

﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى يُجْدِلُهَا فِي قَوْمٍ لَوِطٍ﴾ [٧٤-٧٥] ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ﴾ [هود: ٧٤-٧٥] فالخليل عليه السلام حريص على الدعوة، وصلاح القوم - رغم عنادهم وتكذيبهم - ولكن إذا جاء أمر الله فلا مرد له، ولذا وصفه الله بهذا الوصف الجميل: ﴿حَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ﴾.

وأفضل الوصايا على الإطلاق ما وصى به إبراهيم بنبيه ويعقوب، وهو الوصية بملازمة القيام بالدين وتقوى الله والاجتماع على ذلك، وهي وصيته تعالى للأولين والآخرين، إذ بها السعادة الأبدية والسلامة من شرور الدنيا والآخرة.

#### الموقف الخامس: تعلم التفكير في آيات الله والاعتبار والتأثر الإيجابي:

قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نُرَى إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾ [٧٥] [الأنعام: ٧٥]. والمعنى: "كما أرينا إبراهيم البصيرة في دينه والحق في خلاف قومه وما كانوا عليه من الضلال في عبادة الأصنام نزيه ﴿مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ فلهذا السبب عبر عن هذه الرؤية بلفظ المستقبل في قوله: ﴿وَكَذَلِكَ نُرَى إِبْرَاهِيمَ﴾ لأنه تعالى كان أراه بعين البصيرة أن أباه وقومه على غير الحق فخالفهم فجزاه الله بأن أراه بعد ذلك ﴿مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ فحسنت هذه العبارة لهذا المعنى"<sup>(٢)</sup>. وفي هذا "إشارة إلى حجة مستنبطة من دلالة أحوال الموجودات على وجود صانعها.

والرؤية هنا مستعملة للانكشاف والمعرفة، فالإراءة بمعنى الكشف والتعريف، فتشمل المبصرات والمعقولات المستدلّ بجميعها على الحق وهي إراءة إلهام وتوفيق، كما في قوله تعالى: ﴿أَوَّلَمَّ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ١٨٥]، فإبراهيم عليه الصلاة والسلام ابتداء في أول أمره بالإلهام إلى الحق كما ابتداء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالرؤية الصادقة. ويجوز أن يكون المراد بالإراءة العلم بطريق الوحي.

وقد حصلت هذه الإراءة في الماضي فحكاها القرآن بصيغة المضارع لاستحضار تلك الإراءة العجيبة كما في قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا﴾ [فاطر: ٩].. وإضافة ملكوت السماوات والأرض على معنى [في]، والمعنى ما يشمله الملك أو المملك، والمراد ملك الله. والمعنى نكشف لإبراهيم دلائل مخلوقاتنا أو عظمة سلطانتنا كشفاً يطلعه على حقائقها ومعرفة أن لا خالق ولا متصرف فيما كشفنا له سوانا"<sup>(٣)</sup>.

(١) تيسير اللطيف المنان ص ٣٧٨.

(٢) لباب التأويل ٤٠٨/٢.

(٣) التحرير والتنوير ٤٩٧/٤.

## المبحث الثالث: مواقف من تعظيم الله في قصة لوط عليه السلام مع قومه وهداياتها:

الموقف الأول: تعظيم الذنب وبيان خطره على مرتكبه:

قال تعالى: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ الْنِسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾﴾ [الأعراف: ٨٠-٨١]، أي: أتأتون هذه الخصلة الفاحشة الخسيسة المتبادية في الفحش والقبح وهي أدبار الرجال، قاله ابن عباس، قال ذلك إنكاراً عليهم وتوبيخاً لهم ﴿مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ أي: لم يفعلها أحد من قبلكم، فإن اللواط لم يكن في أمة من الأمم قبل هذه الأمة<sup>(١)</sup>، وفي ذلك التوبيخ وتعظيم الذنب وبيان خطره على مرتكبه.

الموقف الثاني: إيجاد البدائل الشرعية عن المحرمات:

وهذا أسلوب يغفل عنه بعض الدعاة إلى الله تعالى، فتجده ليس عنده إلا إنذار الناس عن ما حرم الله فقط - وهذا بلا شك مطلوب، بل وواجب - ولكن لا بد من إظهار أن الله إذا حرم شيئاً جعل له بديلاً طيباً، فقد اتخذ لوط عليه السلام مع قومه هذا الأسلوب ليحببهم فيما أباحه الله لهم، وليلفت أنظارهم أن هذا المباح يسهل الحصول عليه، وهو الأطهر والأوفق لفظهم التي فُطروا عليها، وليصرفهم عن ما هم فيه من شهوات مهلكات بهذا الحلال الطيب، قال تعالى: ﴿قَالَ إِنَّ هَذِهِ نِسَاءِي فَمَا لَكُمْ فَعَزَّوْنَ ﴿٧٨﴾ وَأَنْفِقُوا لِلَّهِ وَلَا تُخْزَوْنَ ﴿٧٩﴾ قَالُوا أَوْلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٨٠﴾ قَالَ هَذِهِ نِسَاءِي إِن كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴿٨١﴾﴾ [الحجر: ٦٨-٧٩]، وقال: ﴿وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمَنْ قَبْلَ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَنْفَوْرٍ هَذِهِ نِسَاءِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزَوْنَ فِي صَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ ﴿٨٠﴾﴾ [هود: ٧٨].

الموقف الثالث: إلقاء الخُطب والمواعظ في الميادين العامة :

فقد كان عليه السلام يخرج لقومه في مجالسهم وميادينهم، فيعظهم ويذكرهم بالله تعالى، رغم ما كان يلاقيه من أذى وعناد منهم، قال تعالى: ﴿أَيُّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَتَيْنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [العنكبوت: ٢٩].

الموقف الرابع: الترغيب والترهيب :

قال تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزَوْنَ فِي صَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ ﴿٨٠﴾﴾ [هود: ٧٨]، فهو ترغيب لهم في الرشد لما رأهم مقدمون على أضيافهم، فذكرهم أن امتناعهم عن هذا المنكر فيه الرشد والصلاح في الدنيا والآخرة، ولكنه عليه السلام لما رأى إصرارهم تماديهم في باطلهم وغيهم، خوَّفهم بأنه لو يستطيع أن يعاقبهم بعذاب شديد لفعل، من شدة إعراضهم وانغماسهم في شهواتهم العفنة، قال تعالى: ﴿قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴿٨٠﴾﴾ [هود: ٨٠].

الموقف الخامس: توجيه المخالف والمخطئ بالحسنى:

وتجلى ذلك في صورٍ متعددةٍ أهمها:

١- الحوار والمناقشة: قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِئَاءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴿٧٧﴾ وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمَنْ قَبْلَ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَنْفَوْرٍ هَذِهِ نِسَاءِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزَوْنَ فِي صَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ ﴿٧٨﴾ قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكُمْ مِنْ حَيٍّ وَإِنَّكَ لَنَعْلَمُ مَا تُرِيدُ ﴿٧٩﴾ قَالُوا لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن ٤/٢٠٤.

إِلَى رُكْنِي شَدِيدٍ ﴿ [هود: ٧٧ - ٨٠]، فهذا الحوار الدائر بين لوط عليه السلام وقومه، يبيّن لنا كيف كان عليه السلام دائم الحديث والمناقشة مع قومه، وكيف أنه كان يحاورهم ويناقشهم رجاء أن يقتنعوا بكلامه ويؤمنوا بما أنزل إليه من عند الله تبارك وتعالى، ورجاءاً منه عليه السلام كذلك أن يمتنعوا عن رغبتهم الشهوانية الحيوانية المحرمة، من خلال حوار الهادئ المنفع، لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

٢- أسلوب الاستفهام الاستنكاري: قال تعالى: ﴿وَلَوْطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿ [الأعراف: ٨٠]، وقال تعالى: ﴿أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿ [الشعراء: ١٦٥]، وقال تعالى: ﴿وَلَوْطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿ [النمل: ٥٤]، فهذه الأسئلة من لوط عليه السلام لقومه، هي استنكارٌ لفعلهم، ولشنيع صنيعهم، وأن ذلك يجلب الاحتقار لهم؛ وهم على هذه الفواحش، وقوله: ﴿وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿ أي: فليس هناك إنسانٌ سويٌّ يستطيع أن يفعل فعلكم هذا!.

الموقف السادس: عدم المداهنة فيما يخالف تعظيم الله بصراحة ووضوح :  
وتجلى ذلك في صورٍ متعددةٍ أهمها:

١- إعلان البراءة من عملهم: قال تعالى عن لوط عليه السلام: ﴿قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ ﴿ [الشعراء: ١٦٨]. "يقول لهم لوط: إني لعملكم الذي تعملونه من إتيان الذكران في أدبارهم من القالين، يعني من المبغضين، المنكرين فعله"<sup>(١)</sup>. أي: "فأنا أرغب في الخروج عن دياركم، والراحة من مجاورتكم، لبغضي لعملكم، الآيل بكم إلى الدمار وخراب الديار. ولذا أتبعه بقوله رَبِّ بَنِي وَأَهْلِي بِمَأْ يَعْمَلُونَ أَي من شؤمه وغائلته"<sup>(٢)</sup>. فالقلى: الكره البالغ. يقذف به لوط في وجوههم في الشتمزاز.

٢- الهجرة: لما علم لوط عليه السلام بأن العذاب نازلٌ لا محالة على قومه، لتكذيبهم به وأعراضهم عنه، أمره الله تبارك وتعالى بترك أرض قومه والهجرة إلى مكان نقي، يخلوا من هؤلاء الفساق، لينجو بمن معه ممن ءامن به واتبعه، من عذاب الله الذي سبقه بقومه، قال تعالى: ﴿قَالُوا يَلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصْلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعِ مِّنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْنَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَمْرَانِكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴿ [هود: ٨١]، وقال تعالى: ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعِ مِّنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبُرَهُمْ وَلَا يَلْنَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴿ [١٥] وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَانَ دَابِرَ هَتُولَاءِ مَقْطُوعِ مُصْبِحِينَ ﴿ [الحجر: ٦٥ - ٦٦].

الموقف السابع: التزام الحكمة والموعظة الحسنة في الدعوة والتعليم والتربية :

وهذا يظهر جلياً في جميع حوارات لوط عليه السلام مع قومه كما مرت معنا في الآيات، حيث كان يتعامل بحكمة بالغة، لكل موقف مقالته ومناسبته، فتحده في وقت اللين يلين معهم، وفي موقف الشدة يشتد معهم في الخطاب، وفي موقف الإنذار والتحذير يعطيه ما يناسبه، مع موعظته لهم بالحسنى عند إيجاد الفرص السانحة لذلك، وهذا بلا شك من حكمة الداعي إلى الله، بأن يعطي لكل موقف ومقال مقالته اللازم له بحكمة وحسن تدبير. وهكذا كانت حوارات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام مع أقوامهم، وفي دعوتهم لهم، وتعليمهم إياهم، وتركبتهم لهم، ومعالجة أخطائهم وخطاياهم.

(١) جامع البيان ٣٨٩/١٩.

(٢) محاسن التأويل ٤٧١/٧.

## المبحث الرابع: مواقف من تعظيم الله في قصص يعقوب ويوسف عليهما الصلاة والسلام وهداياتها: الموقف الأول: المسامحة والعفو :

﴿ قَالُوا يَا بَانَا أَسْتَغْفِرُ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ ﴿١٧﴾ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ [يوسف: ٩٧-٩٨]. أي: "قال يعقوب: سوف أسأل ربي أن يعفو عنكم ذنوبكم التي أذنبتموها فيّ وفي يوسف" (١). "ورجائي به أن يغفر لكم ويرحمكم، ويتغمدكم برحمته، وقد قيل: إنه أحر الاستغفار لهم إلى وقت السحر الفاضل، ليكون أتمّ للاستغفار، وأقرب للإجابة" (٢). "وأراد أن ينيهم إلى عظم الذنب، وعظمة الله تعالى، وأنه سيكرر الاستغفار لهم في أزمنة مستقبله" (٣). وكان هذا من أباهم يعقوب عليه السلام.

ومن يوسف عليه السلام: ﴿ قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ أَتَرَكْنَا اللَّهَ عَالِينَ وَإِن كُنَّا لَخَاطِئِينَ ﴿١٩﴾ قَالَ لَا تَتَّيِبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَعْفُرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّحِيمِينَ ﴿٢٠﴾ [يوسف: ٩١-٩٢]، "أي: فضلك علينا بمكارم الأخلاق ومحاسن الشيم، وأسأنا إليك غاية الإساءة، وحرصنا على إيصال الأذى إليك، والتباعد لك عن أبيك، فأترك الله تعالى وممكنك مما تريد ﴿وَإِن كُنَّا لَخَاطِئِينَ﴾ وهذا غاية الاعتراف منهم بالجرم الحاصل منهم على يوسف.

فقال لهم يوسف عليه السلام، كرما وجودا: لا أثرب عليكم ولا ألومكم ﴿يَعْفُرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّحِيمِينَ﴾ فسمح لهم سماحا تاما، من غير تعبير لهم على ذكر الذنب السابق، ودعا لهم بالمغفرة والرحمة، وهذا نهاية الإحسان، الذي لا يتأتى إلا من خواص الخلق وخيار المصطفين" (٤).

## الموقف الثاني: حسن التوكل والتذكير بالله:

وكان ذلك جلياً في القصة كلها، ونكتفي بمواقف منها: كموقف فقده ليوسف عليه السلام: ﴿ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ [يوسف: ١٨]، وموقف طلبهم صحبة أخيه لهم: ﴿ قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمَنُكُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ فَأَلَّه خَيْرَ حَفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّحِيمِينَ ﴿٢٤﴾ [يوسف: ٦٤]، وموقف وصيته لهم قبل الرحلة: ﴿ فَلَمَّا ءَاتَوْهُ مَوْفِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٢٥﴾ وَقَالَ يَبْنَى لَا تَدْخُلُوا مِن بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُّتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَلَّه إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٢٧﴾ وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا وَإِنَّهُ لَدُوْعٍ لِّمَّا عَلَّمْنَاهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ [يوسف: ٦٦-٦٨]، وموقف فجيعة بأخيه: ﴿ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ [يوسف: ٨٣]، وموقف وصيته لبنيه بالبحث عن يوسف عليه السلام وأخيه: ﴿ يَبْنَى أَدْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَأَيَّسُوا مِنْ رَّوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأَيَّسُ مِنْ رَّوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴿٣٧﴾ [يوسف: ٨٧].

## الموقف الثالث: ترك الدنيا وإيثار الأشد تعظيماً لحرمات الله:

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ رَوَدْنَاهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا ءَامُرُهُ لَيَسْجَنَنَّ وَيَكُونَا مِنَ الصَّغِيرِينَ ﴿٣٦﴾ قَالَ رَبِّ

(١) جامع البيان ١٦/٢٦١.

(٢) تيسير الكريم الرحمن ص ٤٠٥.

(٣) التحرير والتنوير ١٣/٥٤.

(٤) تيسير الكريم الرحمن ص ٤٠٤-٤٠٥ باختصار يسير.

السَّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونِي إِلَيْهِ وَالْأَصْرَفُ عَنِّي كَيْدُهُنَّ أَصْبَغُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٣٦﴾ فَأَسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ بَدَأَ لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيْسَ جُنْدُهُمْ وَحَيَّ حِينَ ﴿٣٥﴾ ﴿يوسف: ٣٢-٣٥﴾.

" قالت له بحضورهن: لتلجئنه بهذا الوعيد إلى حصول مقصودها منه، فعند ذلك اعتصم يوسف بربه، واستعان به على كيدهن، وهذا يدل على أن النسوة، جعلن يشرن على يوسف في مطاوعة سيدته، وجعلن يكدنه في ذلك.. فاستحب السجن والعذاب الدنيوي على لذة حاضرة توجب العذاب الشديد، فإن العلم والعقل يدعو إلى تقديم أعظم المصلحتين وأعظم اللذتين، ويؤثر ما كان محمود العاقبة. فهذا ما نجى الله به يوسف من هذه الفتنة الملمة والحنة الشديدة" (١).

وفي هذا "الحذر من شؤم الذنوب، فكم من ذنب واحد استتبع ذنوبا كثيرة، وتسلسل الشر المؤسس على الذنب الأول، وانظر إلى جرم إخوة يوسف، فإنهم أرادوا التفريق بينه وبين أبيه الذي هو من أعظم الجرائم، احتالوا على ذلك بعدة حيل، وكذبوا عدة مرات، وزوروا على أبيهم في القميص والدم الذي فيه، وفي صفة حالهم حين أتوا عشاءا سيكون، ولا بد أن الكلام في هذه القضية تسلسل وتشعب، بل ربما أنه اتصل إلى الاجتماع بيوسف، وكلما بحث في هذا الموضوع فهو بحث كذب وزور مع استمرار أثر المصيبة على يعقوب، بل وعلى يوسف، فليحذر العبد من الذنوب، خصوصا الذنوب المتسلسلة، وضد ذلك بعض الطاعات تكون طاعة واحدة، ولكن يتسلسل نفعها وبركتها حتى تستتبع طاعات من الفاعل وغيره، وهذا من أعظم آثار بركة الله للعبد في علمه وعمله" (٢).

#### الموقف الرابع: الحرص على مصلحة الأفراد وصلاحهم في الدنيا والآخرة:

إن الوصول إلى الناس وإلى قلوبهم ينبغي أن يكون مدخله النظر في مصالحهم وخدمتهم، فاتخذ يوسف **عليه السلام** الحكم وتأويل الرؤيا وعلمه بها طريقاً إلى الدعوة للتوحيد، حيث قال للسجينين: ﴿لَا يَأْتِيَكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِيهِ إِلَّا نَبَأَكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَلِكَ مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾ [يوسف: ٣٧]، وفي هذا حسن النظر في مصالح الناس قبل دعوتهم.

وسأل يوسف **عليه السلام** منصب حافظ خزائن مصر؛ كما دل على ذلك قوله تعالى: ﴿قَالَ أَجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٥٥] وذلك ليحفظها من الضياع؛ وقد كان الناس مقبلين على سبع سنين شداد؛ وكذا ليتوصل بذلك إلى نشر العدل ورفع الظلم؛ ويتوسل به إلى دعاء أهل مصر إلى الإيمان بالله وترك عبادة الأوثان (٣).

ومن هنا تحدث العلماء حول جواز طلب المرء الولاية لنفسه إن علم أنه كفاء لها ولا يوجد غيره، وليتوسل بها إلى تبليغ الدعوة وتحقيق العدل.

وتجلى ذلك في حوار مع صاحبي السجن: ﴿إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَأَتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾ يَصْلِحْ جِ السَّجْنَ ءَازِبَابٌ مُتَّفِقُونَ حَيْرٌ أَمَ اللّٰهُ الْوَلِجْدُ الْقَهَارُ ﴿٣٩﴾ مَا نَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا الْأَسْمَاءَ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مِمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ

(١) تيسير الكريم الرحمن ص ٣٩٧.

(٢) تيسير اللطيف المنان ص ٢٧٥.

(٣) فتح البيان في مقاصد القرآن لمحمد صديق خان ٦/٣٥٦.

الَّذِينَ الْقِيَمُ وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾ [يوسف: ٣٧-٤٠].

### الموقف الخامس: اغتنام الفرص:

من فطنة الداعي وذكائه استغلال الفرص لتبليغ الدعوة، وهذا من أهم أساليب الدعوة التي ينبغي الحرص عليها، فإن يوسف عليه السلام حين طلب منه صاحبه في السجن أن يعبر رؤياهما وبدت له حاجتهما إليه؛ قصد أن يدعوها إلى الإيمان في هذه الحال؛ ليكون أنجع لدعوته، وأقبل لهما<sup>(١)</sup>. قال ابن كثير رحمه الله: "وكانت دعوته لهما في هذه الحال في غاية الكمال؛ لأن نفوسهما معظمة له، منبعثة على تلقي ما يقول بالقبول، فناسب أن يدعوها إلى ما هو الأنفع لهما مما سألا عنه وطلبا منه..."<sup>(٢)</sup>.

(١) تيسير الكريم الرحمن ص ٣٩٧.

(٢) البداية والنهاية ٢٠٧/١.

## المبحث الخامس: مواقف من تعظيم الله في قصص موسى وهارون عليهما الصلاة والسلام وهداياتها: الموقف الأول: استعمال القول اللين :

فقد أمر الله تعالى موسى وهارون عليهما السلام أمراً مباشراً باللين في الدعوة، بقوله: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لِّئِنَّا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ [طه: ٤٤] فإن الملوك الظالمين أمثال فرعون لا يقبلون إلا لين الكلام معهم. "أمرهما بما ينبغي لكل أمر بالمعروف من الأخذ بالأحسن فالأحسن والأسهل فالأسهل"<sup>(١)</sup>، "لما كان اللين سبباً للتذكرة والخشية أمرهما به لتقوم عليه الحجة فهذا الرجاء المتعلق بكلامه.. فالكلام المنفر لا يتوقع منه إجابة ولا إنابة والكلام اللين المرغوب يتوقع من كل من سمعه الإجابة الإنابة"<sup>(٢)</sup>. "والمقصود من دعوة الرسل حصول الاهتداء لا إظهار العظمة وغلظة القول بدون جدوى. فإذا لم ينفع اللين مع المدعوّ وأعرض واستكبر جاز في موعظته الإغلاظ معه"<sup>(٣)</sup> تعظيماً لله ولأمر الله لاغير.

## الموقف الثاني: الحوار والمناقشة بالحسنى للمخالف والمخطئ:

وصف الله مشهد الحوار والمناقشة بين موسى عليه السلام مع فرعون وملئه: ﴿قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يُمُوسَى﴾ [الآيات إلى قوله: ﴿وَلَقَدْ آرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَى﴾] ثم ختمها ب قوله: ﴿وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى﴾ [طه: ٤٩-٧٩] "فالذي خلق مخلوقات، وأعطاهما خلقها الحسن، الذي لا تقترح العقول فوق حسنه، وهداها لمصالحها، هو الرب على الحقيقة، فإنكاره إنكار لأعظم الأشياء وجوداً، وهو مكابرة ومجاهرة بالكذب، فلو قدر أن الإنسان، أنكر من الأمور المعلومة ما أنكر، كان إنكاره لرب العالمين أكبر من ذلك، ولهذا لما لم يمكن فرعون، أن يعاند هذا الدليل القاطع، عدل إلى المشاغبة، وحاد عن المقصود.. فلا معنى لسؤالك واستفهامك يا فرعون عنهم، فتلك أمة قد خلت، لها ما كسبت، ولكم ما كسبتم، فإن كان الدليل الذي أوردناه عليك، والآيات التي أريناها، قد تحققت صدقها ويقينها؛ وهو الواقع، فانقد إلى الحق، ودع عنك الكفر والظلم، وكثرة الجدل بالباطل، وإن كنت قد شككت فيها أو رأيتها غير مستقيمة، فالطريق مفتوح وباب البحث غير مغلق، فرد الدليل بالدليل، والبرهان بالبرهان، ولن تجد لذلك سبيلاً ما دام الملوان. كيف وقد أخبر الله عنه، أنه جحدتها مع استيقانها! فعلم أنه ظالم في جداله، قصده العلو في الأرض"<sup>(٤)</sup>. وكذلك حوار موسى عليه السلام مع بني إسرائيل - وهو كثير في القرآن- وحواره مع السامري، وفي تلك الحوارات آدابٌ وقيمٌ وأخلاقٌ عظيمةٌ لا ينقضها منها عجبك إلا إذا علمت تأييد الله لهم بالوحي والتركية.

## الموقف الثالث: شدة تعظيم الله سبحانه وتعالى:

فقد دأب موسى وأخاه هارون عليهما السلام على تعظيم الذنب، وبيان خطره على مرتكبه والتوبيخ على فعله تعظيماً لله تعالى، وتجلي ذلك واضحاً في مواقف متعددة، منها: موقفهما مع جدال فرعون وملئه وعنادهم، ومع السامري لما صنع العجل وعبدته بنو إسرائيل، ومع قومهم لما أمرهم الله بدخول الأرض المقدسة، ومع السبعين لما سألوا رؤية الله، ومع قومهم لما سألوا البصل والثوم، ولما تمنعوا من

(١) نظم الدرر ٢٠/٥.

(٢) الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان للإمام ابن القيم الجوزية ص ٦٢ باختصار.

(٣) التحرير والتنوير ١٦/٢٢٥.

(٤) تيسير الكريم الرحمن ص ٥٠٦-٥٠٧.

ذبح البقرة .. الخ.

ولتصور التعظيم عند موسى عليه السلام تدبر قول الله تعالى: ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضَبًا أَن سَمَا حَلَفْتُمْ مِنِّي مِن بَعْدِي أُعِجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَابَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعُّوْنِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١٥٠﴾﴾ الآية إلى قوله: ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَابَ فِي سُخْتِهَا هَدَىٰ وَرَحْمَةً لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْتَابُونَ ﴿١٥١﴾﴾ [الأعراف: ١٥٠-١٥٤].

## المبحث السادس: مواقف من تعظيم الله في قصص خاتم الأنبياء محمد ﷺ وهداياتها:

### الموقف الأول: التوحيد وتطبيقاته :

قال تعالى: ﴿ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴾ [الزمر: ٩].  
قال الرازي: " لما ثبت أنه ﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ﴾ لزمك أن تتخذه وكيلاً وأن تفوض كل أمورك إليه وهنا مقام عظيم فإنه لما كانت معرفة أنه لا إله إلا هو توجب تفويض كل الأمور إليه دل هذا على أن من لا يفوض كل الأمور إليه فإنه غير عالم بحقيقة لا إله إلا هو" (١).

وقال السعدي: " ﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ﴾ أي: لا معبود إلا وجهه الأعلى الذي يستحق أن يخص بالحبة والتعظيم، والإجلال والتكريم، ولهذا قال: ﴿ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴾ أي: حافظاً ومدبراً لأمورك كلها" (٢).

ويقول الله تعالى: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَى بِهِ بُدُوبَ عِبَادِهِ خَبِيرًا ﴾ [الفرقان ٥٨].  
قال ابن جرير: "وتوكل يا محمد على الذي له الحياة الدائمة التي لا موت معها، فثق به في أمر ربك وفوض إليه، واستسلم له" (٣). وقال ابن كثير: "في أمورك كلها كُن متوكلاً على الله الحي الذي لا يموت أبداً، الدائم الباقي السرمدي الأبدي، الحي القيوم رب كل شيء ومليكه، اجعله دُخْرَكَ وملجأك، وهو الذي يُتَوَكَّلُ عليه ويفزع إليه، فإنه كافيك وناصرك ومؤيدك ومظفرك" (٤).

" والتوكل: الاعتماد وإسلام الأمور إلى المتوكل عليه وهو الله، و﴿ الَّذِي لَا يَمُوتُ ﴾ هو الله تعالى. وعدل عن اسم الجلالة إلى هذين الوصفين لما يؤذن به من تعليل الأمر بالتوكل عليه لأنه الدائم فيفيد ذلك معنى حصر التوكل في الكون عليه، فالتعريف في ﴿ الَّذِي ﴾ للكامل، أي الكامل حياته لأنها واجبة باقية مستمرة وحياته غيره معرضة للزوال بالموت ومعرضة لاختلال أثرها بالذهول كالنوم ونحوه فإنه من جنس الموت، فالتوكل على غيره معرض للاختلال وللانحرام" (٥).

وقال تعالى: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴾ [النساء: ٨١]، [الأحزاب ١]. قال ابن كثير: "أي: كفى به ولياً وناصرًا ومعيناً لمن توكل عليه وأُتاب إليه" (٦). أي: "اعتمد عليه في كل أحوالك، فهو الذي يمنعك، فلا يضرك من خذلك، وهو كاف لك ما تخافه من المشركين والمنافقين" (٧).

وقال السعدي: "توكل إليه الأمور، فيقوم بها، وبما هو أصلح للعبد، وذلك لعلمه بمصالح عبده، من حيث لا يعلم العبد، وقدرته على إيصالها إليه، من حيث لا يقدر عليها العبد، وأنه أرحم بعبده من نفسه، ومن والديه، وأرأف به من كل أحد، خصوصاً خواص عبيده، الذين لم يزل يرببهم بربه، ويُدرُّ عليهم بركاته الظاهرة والباطنة، خصوصاً وقد أمره بإلقاء أمره إليه، ووعده، فهناك لا تسأل عن كل أمر يتيسر، وصعب يسهل، وخطوب تهون، وكروب تزول، وأحوال وحوائج تقضى، وبركات تنزل، ونقم تدفع، وشور ترفع.

(١) مفاتيح الغيب للرازي ١٩٥/٣٠.

(٢) تيسير الكريم الرحمن ٨٩٢.

(٣) جامع البيان ٢٨٦/١٩.

(٤) تفسير القرآن العظيم ١١٩/٦.

(٥) التحرير والتنوير ٨٠/ ١٩.

(٦) تفسير القرآن العظيم ٢٦٤/٢.

(٧) الجامع لأحكام القرآن ١١٦/ ١٤.

وهناك ترى العبد الضعيف، الذي فوض أمره لسيدته، قد قام بأمر لا تقوم بها أمة من الناس، وقد سهل الله عليه ما كان يصعب على فحول الرجال وبالله المستعان<sup>(١)</sup>.

والتوكل عليه وحده، هو القاعدة الثابتة المطمئنة التي يفيء إليها القلب؛ فيعرف عندها حدوده، وينتهي إليها؛ ويدع ما وراءها لصاحب الأمر والتدبير، في ثقة وفي طمأنينة وفي يقين.

وقد رتب سبحانه العزة والرحمة لمن توكل عليه، قال تعالى: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴾ [الشعراء: ٢١٧]. قال ابن جرير: "﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ ﴾ في نعمته من أعدائه ﴿ الرَّحِيمِ ﴾ بمن أناب إليه وتاب من معاصيه"<sup>(٢)</sup>، وقال القرطبي: "أي: فوض أمرك إليه فإنه ﴿ الْعَزِيزِ ﴾ الذي لا يغالب، ﴿ الرَّحِيمِ ﴾ الذي لا يخذل أوليائه"<sup>(٣)</sup>. "فهو سبحانه يقهر من يعصيك منهم ومن غيرهم بعزته، وينصرك برحمته، وتقديم وصف العزة؛ قيل: لأنه أوفق بمقام التسلي عن المشاق اللاحقة من القوم إليه ﷺ. وجوز أن يكون ذلك لأن العزة كالعلة المصححة للتوكل، والرحمة كالعلة الداعية إليه"<sup>(٤)</sup>. و"علق التوكل بالاسمين ﴿ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴾ وما تبعهما من الوصف الموصول إشارة إلى أنه بعزته قادر على تغلبه على عدوه الذي هو أقوى منه، وأنه برحمته يعصمه منهم"<sup>(٥)</sup>. "والتوكل هو اعتماد القلب على الله تعالى، في جلب المنافع، ودفع المضار، مع ثقته به، وحسن ظنه بحصول مطلوبه، فإنه عزيز رحيم؛ بعزته يقدر على إيصال الخير، ودفع الشر عن عبده، وبرحمته به يفعل ذلك"<sup>(٦)</sup>.

#### الموقف الثاني: التقوى جماع الخير :

وفي شأن التقوى يقول تعالى لنبيه محمد ﷺ: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ ﴾ [الأحزاب ١]، أي: "يا أيها الذي من الله عليه بالنبوة، واختصه بوحيه، وفضله على سائر الخلق، اشكر نعمة ربك عليك، باستعمال تقواه، التي أنت أولى بها من غيرك، والتي يجب عليك منها، أعظم من سواك، فامتثل أوامره ونواهيه، وبلغ رسالاته، وأد إلى عباده وحيه، وابدل النصيحة للخلق"<sup>(٧)</sup>.

قال الألوسي: "ناداه جل وعلا بوصفه ﷺ، دون اسمه تعظيما له وتفخيما"<sup>(٨)</sup>. "وأمره ﷺ بالتقوى تفخيما وتعظيما للتقوى نفسها، حيث أمر بها مثله. فإن مراتبها لا تنتهي. مع أن المقصود الدوام والثبات عليها"<sup>(٩)</sup>.

واقتران الأمر بالتقوى بوصف النبوة دليل على أن الأمر جزء من ذلك الوصف، وملازم له، فالتقوى من النبوة التي أرسل بها ﷺ، وكلف ببلاغها للناس، وليست مجرد وصف شخصي له ﷺ، ولا شك أنه هو أول المؤمنين المخاطبين بذلك، ولذا كان رسول الله ﷺ خير قدوة في هذا الباب، كما قال ﷺ: ((أما إنني أتفاكم

(١) تيسير الكريم الرحمن ٦٧٥.

(٢) جامع البيان ٤١١/١٩.

(٣) الجامع لأحكام القرآن ١٤٤/١٣.

(٤) روح المعاني ١٣٦/١٩.

(٥) التحرير والتنوير ٢٠٧/١٩.

(٦) تيسير الكريم الرحمن ٥٩٩.

(٧) تيسير الكريم الرحمن ص ٦٥٧.

(٨) روح المعاني ١٤٣/٧.

(٩) محاسن التأويل للقاسمي ٤٧/٨.

لله وأخشاكم له))<sup>(١)</sup>.

فتقوى الله والشعور براقبته واستشعار جلاله هي القاعدة الأولى، وهي الحارس القائم في أعماق الضمير على التشريع والتنفيذ. وهي التي يناط بها كل تكليف في الإسلام وكل توجيه.

### الموقف الثالث: عبادة التسبيح والحمد :

أمر الله تعالى رسوله ﷺ بالتسبيح في أوقات ومواقف كثيرة تعظيماً لله، يمكن إجمالها في النقاط التالية:

#### ١- تعظيم الله تعالى بالتسبيح:

قال تعالى: ﴿ فَسَبِّحْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ۝٧٤ ﴾ [الحاقة: ٥٢]. "أي: نزه ربك العظيم، كامل الأسماء والصفات، كثير الإحسان والخيرات، واحمده بقلبك ولسانك، وجوارحك، لأنه أهل لذلك، وهو المستحق لأن يشكر فلا يكفر، ويذكر فلا ينسى، ويطاع فلا يعصى"<sup>(٢)</sup>.

وقال تعالى: ﴿ سَبِّحْ أَسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ۝١ ﴾ [الأعلى: ١]. قال السعدي: "أمر تعالى بتسبيحه المتضمن لذكره وعبادته، والخضوع لجلاله، والاستكانة لعظمته، وأن يكون تسبيحا، يليق بعظمة الله تعالى، بأن تذكر أسمائه الحسنى العالية على كل اسم بمعناها الحسن العظيم"<sup>(٣)</sup>. "ونزّهه عما لا يليق بجلاله، وقدهسه بذكر أوصاف جلاله وجماله وكماله"<sup>(٤)</sup>.

والتسبيح هو التمجيد والتنزيه واستحضار معاني الصفات الحسنى لله، وليست هي مجرد ترديد لفظ. و ﴿ سَبِّحْ أَسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ۝١ ﴾.. تطلق في الوجدان معنى وحالة يصعب تحديدها باللفظ، ولكنها تذوق بالوجدان. وتوحي بالحياة مع الإشراقات المنبثقة من استحضار معاني الصفات. والصفة الأولى القريبة في هذا النص هي صفة الرب. وصفة الأعلى. والرب: المربي والراعي، وصفة الأعلى تطلق التطلع إلى الآفاق التي لا تتناهى؛ وتطلق الروح لتسبح وتسبح إلى غير مدى.. وتتناسق مع التمجيد والتنزيه، وهو في صميمه الشعور بصفة الأعلى..

والخطاب هنا لرسول الله ﷺ ابتداءً. وهذا الأمر صادر إليه من ربه. بهذه الصيغة: ﴿ سَبِّحْ أَسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ۝١ ﴾. وفيه من التلطف والإيناس ما يجلب عن التعبير. وقد كان رسول الله ﷺ يقرأ هذا الأمر، ثم يعقب عليه بالاستجابة المباشرة، قبل أن يمضي في آيات السورة، يقول: سبحان ربي الأعلى فهو خطاب ورده. وأمر وطاعته. وإيناس ومجاوبته، يتلقى مباشرة ويستجيب.

عقبة بن عامر الجهني، يقول: لما نزلت: ﴿ فَسَبِّحْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ۝٧٤ ﴾ قال لنا رسول الله ﷺ: ((اجعلوها في ركوعكم))، فلما نزلت ﴿ سَبِّحْ أَسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ۝١ ﴾ قال: ((اجعلوها في سجودكم))<sup>(٥)</sup>.

(١) أخرجه البخاري كتاب النكاح باب الترغيب في النكاح (٥٠٦٣)، ومسلم كتاب الصيام باب بيان أن القبلة في الصوم ليست محرمة على من تحرك شهوته (١١٠٨)

(٢) تيسير الكريم الرحمن ٩٢٠.

(٣) تيسير الكريم الرحمن ٨٣٥.

(٤) تيسير الكريم الرحمن ٨٨٤.

(٥) أخرجه أحمد في المسند ١٥٥/٤ برقم (١٧٤٥٠) وقال شعيب الأرناؤوط: إسناده يحتمل التحسين، وأخرجه ابن ماجة كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها باب التسبيح في الركوع والسجود (٨٨٧)، أبو داود كتاب الصلاة باب ما يقول الرجل في ركوعه وسجوده (٨٦٩) وضعفه الألباني في كليهما.

فهذا التسبيح في الركوع والسجود كلمة حية ألحقت بالصلاة وهي دافئة بالحياة. لتكون استجابة مباشرة لأمر مباشر، أو بتعبير أدق، لإذن مباشر، فإذا نال الله لعباده بأن يحمده ويسبحوه إحدى نعمه عليهم وأفضاله. إنه إذن بالاتصال به سبحانه في صورة مقربة إلى مدارك البشر المحدودة. صورة تفضل الله عليهم بما يعرفهم ذاته. في صفاته. في الحدود التي يملكون أن يتطلعوا إليها. وكل إذن للعباد بالاتصال بالله في أي صورة من صور الاتصال، هو مكرمة له وفضل على العباد.

## ٢- التسبيح عند الكرب:

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعَلْنَاكَ أَنْكَ يَضِيقُ صَدْرَكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿١٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴿١٨﴾﴾ [الحجر: ٩٧ - ٩٨]. قال أبو جعفر: "فأفرغ فيما نابك من أمر تكرهه منهم إلى الشكر لله والثناء عليه والصلاة، يكفك الله من ذلك ما أهمك"<sup>(١)</sup>، "فاشتغل بذكر الله وتحميده وتسبيحه وعبادته التي هي الصلاة"<sup>(٢)</sup>. "أي: أكثر من ذكر الله وتسبيحه وتحميده والصلاة فإن ذلك يوسع الصدر ويشرحه ويعينك على أمورك"<sup>(٣)</sup>.

قال الرازي: "اعلم أنه تعالى لما ذكر أن قومه يسفهون عليه قال له: ﴿وَلَقَدْ نَعَلْنَاكَ أَنْكَ يَضِيقُ صَدْرَكَ بِمَا يَقُولُونَ﴾ لأن الجلبة البشرية والمزاج الإنساني يقتضي ذلك فعند هذا قال له: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾" فأمره: بالتسبيح والتحميد والسجود.

واختلف الناس في أنه كيف صار الإقبال على هذه الطاعات سبباً لنزول ضيق القلب والحزن؟ فقال العارفون المحققون: إذا اشتغل الإنسان بهذه الأنواع من العبادات انكشفت له أضواء عالم الربوبية، ومتى حصل ذلك صارت الدنيا بالكلية حقيرة، وإذا صارت حقيرة خف على القلب فقداها ووجدانها، فلا يستوحش من فقداها، ولا يستريح بوجدانها، وعند ذلك يزول الحزن والغم"<sup>(٤)</sup>.

## ٣- التسبيح عند النصر:

قال تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَأَسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ [النصر: ٣]، فالتسبيح والحمد على ما أولاهم من منة بأن جعلهم أمناء على دعوته حراساً لدينه. وعلى ما أولى البشرية كلها من رحمة بنصره لدينه، وفتحته على رسوله ودخول الناس أفواجا في هذا الخير الفاضل العميم، بعد العمى والضلال والخسران.

وقال تعالى: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَى بِهِ بُدُوبَ عِبَادِهِ خَيْرًا ﴿٥٨﴾﴾ [الفرقان: ٥٨]، "أي: اقرن بين حمده وتسبيحه"<sup>(٥)</sup>؛ ولهذا كان رسول الله ﷺ يقول: سبحانك اللهم ربنا وبحمدك فعن عائشة رضي الله عنها قالت: ((كان النبي ﷺ يقول: في ركوعه وسجوده: سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، اللهم اغفر لي))<sup>(٦)</sup>. " فأمره بالتسبيح هو تنزيه الله عما لا يليق به، وأول ذلك الشركة في الإلهية، أي: إذا أهمك أمر إعراض المشركين عن دعوة الإسلام فعليك نفسك فتره الله.

(١) جامع البيان ١٧/١٥٩.

(٢) تفسير القرآن العظيم ٤/٥٥٣.

(٣) تيسير الكريم الرحمن ٤٣٥.

(٤) مفاتيح الغيب للرازي ١٩/١٧١.

(٥) تفسير القرآن العظيم ٦/١١٩.

(٦) أخرجه البخاري كتاب صفة الصلاة باب الدعاء في الركوع (٧٦١)، ومسلم كتاب الصلاة باب ما يقال في الركوع والسجود (٤٨٤).

والباء في ﴿يَحْمَدُهُ﴾ للمصاحبة، أي سبحة تسيحها مصاحبا للثناء عليه بما هو أهله. فقد جمع له في هذا الأمر التخلية والتخلية، مقدما التخلية، لأن شأن الإصلاح أن يبدأ بإزالة النقص<sup>(١)</sup>، "أي: نزه الله تعالى عما يصفه هؤلاء الكفار به من الشركاء"<sup>(٢)</sup>. والجمع بين التسيح والتحميد من أجل التطهير.

#### ٤- التسيح عند القيام من المجلس وللصلاة ومن النوم في الليل:

قال تعالى: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ﴾ [الطور: ٤٨] قال الضحاك: أي إلى الصلاة: سبحانك اللهم وبحمدك، وتبارك اسمك، وتعالى جدك، ولا إله غيرك، وقال أبو الجوزاء: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ﴾ أي: من نومك من فراشك. ويتأيد هذا القول بما رواه عبادة بن الصامت عن رسول الله ﷺ قال: ((من تعارَّ من الليل فقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير. سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله، ثم قال: رب اغفر لي - أو قال: ثم دعا - استجيب له، فإن عزم فتوضأ، ثم صلى تقبلت صلاته))<sup>(٣)</sup>. قال: مجاهد: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ﴾ أي: من كل مجلس، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه قال: ((من جلس في مجلس فكثر فيه لغطه فقال: قبل أن يقوم من مجلسه: سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك، إلا غفر له ما كان في مجلسه ذلك))<sup>(٤)</sup> (٥).

وقال تعالى: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَرَ النُّجُومِ﴾ [الطور: ٤٩]. أي: اذكره واعبده بالتلاوة والصلاة في الليل<sup>(٦)</sup>. أي: وفي أوقات الليل، وأدبار الصلوات. فإن ذكر الله تعالى، مسل للنفس، مؤنس لها، مهون للصبر<sup>(٧)</sup>. وقال تعالى: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا﴾ [الإنسان: ٢٦]. التسيح: التنزيه بالقول وبالاعتقاد، ويشمل الصلوات والأقوال الطيبة والتدبر في دلائل صفات الله وكمالاته، وغلب إطلاق مادة التسيح على الصلاة النافلة<sup>(٨)</sup>.

#### ٥- الأمر بالتسيح قبل طلوع الشمس وقبل غروبها:

قال تعالى: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى﴾ [طه: ١٣٠]. قال ابن جرير: "أمره جل ثناؤه في نوائبه بالفرغ إلى الصبر والصلاة"<sup>(٩)</sup>، "فأمره الله بالصبر على أذيتهم بالقول، وأمره أن يتعوض عن ذلك، ويستعين عليه بالتسيح بحمد ربه، في الأوقات الفاضلة، وهي: قبل طلوع الشمس وغروبها، وفي أطراف النهار، أوله وآخره، وفي أوقات الليل وساعاته، ﴿لَعَلَّكَ﴾ إن فعلت

(١) التحرير والتنوير ٨٠/١٩.

(٢) الجامع لأحكام القرآن ٣٢/١٣.

(٣) أخرجه البخاري كتاب التهجد باب فضل من تعار من الليل فصل (١١٠٣).

(٤) أخرجه الترمذي كتاب الدعوات باب ما يقال إذا قام من المجلس (٣٤٣٣)، وصححه الألباني في صحيح وضعيف الترمذي.

(٥) تفسير القرآن العظيم ٤٣٨/٧ - ٤٤٠ باختصار.

(٦) تفسير القرآن العظيم ٧/٤٤٠.

(٧) تيسير الكريم الرحمن ٨٠٧.

(٨) التحرير والتنوير ٣٧٦/٢٩.

(٩) جامع البيان ١٤/١.

ذلك، ﴿تَرْضَى﴾ بما يعطيك ربك من الثواب العاجل والآجل، وليطمئن قلبك، وتقر عينك بعبادة ربك، وتتسلى بها عن أذيتهم، فيخف حينئذ عليك الصبر<sup>(١)</sup>، "فاشتغل عنهم بطاعة ربك وتسيبته، أول النهار وآخره، وفي أوقات الليل، وأدبار الصلوات. فإن ذكر الله تعالى، مسل للنفس، مؤنس لها، مهون للصبر"<sup>(٢)</sup>.

الله تعالى يقول لنبيه: اتجه إلى ربك: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾ في هداة الصبح وهو يتنفس ويتفتح بالحياة؛ وفي هداة الغروب والشمس تودع، والكون يغمض أجفانه، وسبح بحمده فترات من الليل والنهار.. كن موصولاً بالله على مدار اليوم ﴿لَعَلَّكَ تَرْضَى﴾. إن التسيب بحمد الله اتصال. والنفس التي تتصل تطمئن وترضى. ترضى وهي في ذلك الجوار الرضي؛ وتطمئن وهي في ذلك الحمى الآمن، فالرضى ثمرة التسيب والعبادة، وهو وحده جزاء حاضر يثبت من داخل النفس ويتزعزع في حنايا القلب.

### الموقف الرابع: حسن التوكل:

إن كل إنسان يحتاج إلى التوكل على الله في جميع أموره، وخصوصاً الداعي إلى الله تعالى، فهو في حاجة للتوكل على الله في رزقه، وفي دعوته، وفي المشكلات التي تواجهه، وفي الاستكبار والعناد الذي يواجهه، وفي تطبيق منهج الله في نفسه أولاً ثم في واقعه. ولذلك نجد أن من الأمور التي برزت في عناية الله تعالى بنبيه ﷺ أن رباه ربه على حسن التوكل عليه، ويبرز هذا الجانب في النقاط التالية:

#### ١- الاستدلال بوحدانية الله على الأمر بالتوكل:

قال تعالى: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾ [المزمل: ٩]. قال الرازي: "لما ثبت أنه ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ لزمك أن تتخذه وكيلاً وأن تفوض كل أمورك إليه وهنا مقام عظيم فإنه لما كانت معرفة أنه لا إله إلا هو توجب تفويض كل الأمور إليه دل هذا على أن من لا يفوض كل الأمور إليه فإنه غير عالم بحقيقة لا إله إلا هو"<sup>(٣)</sup>. وقال السعدي: "﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ أي: لا معبود إلا وجهه الأعلى الذي يستحق أن يخص بالحببة والتعظيم، والإجلال والتكريم، ولهذا قال: ﴿فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾ أي: حافظاً ومدبراً لأمورك كلها"<sup>(٤)</sup>.

فهو رب كل متجه .. رب المشرق والغرب .. وهو الواحد الأحد الذي لا إله إلا هو؛ والتوكل عليه هو التوكل على القوة الوحيدة في هذا الوجود. والاتكال على الله وحده هو الثمرة المباشرة للاعتقاد بوحدانيته، وهيمنتته على المشرق والمغرب، أي على الكون كله.. والرسول الذي ينادى: قم.. لينهض بعبئه الثقيل، في حاجة ابتداء للتبطل لله والاعتماد عليه دون سواه. فمن هنا يستمد القوة والزراد للعبء الثقيل في الطريق الطويل.

#### ٢- تثبيت الله نبيه على الحق بأمر بالتوكل:

قال تعالى: ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ﴾ [النمل: ٧٩]. قال السعدي: "أي: اعتمد على ربك في جلب المصالح ودفع المضار وفي تبليغ الرسالة وإقامة الدين وجهاد الأعداء. ﴿إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ﴾ الواضح والذي على الحق يدعو إليه، ويقوم بنصرته أحق من غيره بالتوكل فإنه يسعى في أمر مجزوم به معلوم صدقه لا شك فيه ولا مرية. وأيضاً فهو حق في غاية البيان لا خفاء به ولا

(١) تيسير الكريم الرحمن ٥١٦.

(٢) تيسير الكريم الرحمن ٨٠٧.

(٣) مفاتيح الغيب للرازي ١٩٥/٣٠.

(٤) تيسير الكريم الرحمن ٨٩٢.

اشتباه، وإذا قمت بما حُمّلت، وتوكلت على الله في ذلك؛ فلا يضرك ضلال من ضل وليس عليك هداهم" (١).  
**٣- التوكل على الله في كل أمر عزمت عليه:**

قال تعالى: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران ١٥٩].

أي: " فإذا صحَّ عزمك بشيئتنا إياك، وتسديدنا لك فيما نابك وحزبك من أمر دينك ودنياك، فامض لما أمرناك به على ما أمرناك به، وافق ذلك آراء أصحابك وما أشاروا به عليك، أو خالفها ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾، فيما تأتي من أمورك وتدع، فثق به في كل ذلك، وارض بقضائه في جميعه، دون آراء سائر خلقه ومعونتهم" (٢).  
"أي: فإذا عقدت قلبك على أمر بعد الاستشارة فاجعل تفويضك فيه إلى الله تعالى، فإنه العالم بالأصلح لك، والأرشد لأمرك، لا يعلمه من أشار عليك" (٣).

وقال تعالى: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران ١٥٩]. فقلوه: " ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ أي: الراضون بقضائه، والمستسلمون لحكمه فيهم، وافق ذلك منهم هوى أو مخالفه" (٤).  
قال ابن عاشور: "لأن التوكل علامة صدق الإيمان، وفيه ملاحظة عظمة الله وقدرته، واعتقاده الحاجة إليه، وعدم الاستغناء عنه، وهذا أدب عظيم مع الخالق يدل على محبة العبد ربه فلذلك أحبه الله" (٥).  
وقال أبو حيان: "حث على التوكل على الله، إذ أخبر أنه يجب من توكل عليه، والمرء ساع فيما يحصل له محبة الله تعالى" (٦).

#### ٤- التوكل على الله في الحرب:

قال تعالى: ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [سورة الأنفال: ٦١].

قال الشيخ أبو بكر الجزائري: "الله تعالى يأمر رسوله وهو قائد الجهاد يومئذ بقبول السلم متى طلبها أعداؤه ومالوا إليها ورغبوا بصدق فيها، لأنه ﷺ رسول رحمة لا رسول عذاب، وأمره أن يتوكل على الله في ذلك أي يطيعه في قبول السلم ويفوض أمره إليه ويعتمد عليه فإنه تعالى يكفيه شر أعدائه لأنه سميع لأقوالهم عليهم بأفعالهم وأحوالهم لا يخفى عليه من أمرهم شيء فلذا سوف يكفي رسوله شر خداعهم إن أرادوا خداعه بطلب السلم والمسالمة" (٧).

#### ٥- التوكل على الله في العبادة:

قال تعالى: ﴿فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [هود: ١٢٣].

قال السعدي: "أي: قم بعبادته، وهي جميع ما أمر الله به مما تقدر عليه، وتوكل على الله في ذلك" (٨).  
وقال الألوسي: "أي: امثل ما أمرت به وداوم على الدعوة والتبليغ، وتوكل عليه في ذلك" (٩).

(١) تيسير الكريم الرحمن ٩٠٦.

(٢) جامع البيان ٣٤٦/٧.

(٣) البحر المحيط ٨٠/٣.

(٤) جامع البيان ٣٤٦/٧.

(٥) التحرير والتنوير ٢٧١/٣.

(٦) البحر المحيط ٨١/٣.

(٧) أيسر التفاسير ٣٢٤/٢.

(٨) تيسير الكريم الرحمن ٣٩٢.

(٩) روح المعاني ١٦٨/١٢.

## الموقف الخامس: حسن الخلق :

ثبت تربية الله لنبيه ﷺ على حسن الخلق عموماً، قال تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم: ٤]. قال البقاعي: "وهو الإسلام الذي دعا إليه القرآن لا بالبلاء ينحرف، ولا بالعطاء ينصرف، لأن خلقه القرآن، فلا يتحرك ولا يسكن إلا بأمره ونهيه، فهذا الخلق نتيجة الهدى والهدى نتيجة العقل، وهو سبب السعادة، فأفهم ذلك عدم سعادتهم لعدم عقولهم.. كان متخلفاً بأخلاق الله تعالى والتخلق بأخلاقه أن ينزه علمه عن الجهل وجوده عن البخل وعدله عن الظلم وحلمه عن السفه.

والخلق الحسن تارة مع الله، وتارة مع حكم الله، وتارة مع الخلق، فمع الله بالتعظيم والإجلال، ومع حُكْمِهِ: بالصبر في الضراء والبأساء، والشكر في الرخاء، والامتنال للأوامر، والانزجار عن النواهي؛ عن طيب قلب مسارعة وبساحة، وحسن الخلق مع الخلق بث النصفة في المعاملة وحسن المجاملة في العشرة. ولما كان الإسلام أشرف الأديان، أعطاه الله تعالى أقوى الأخلاق وأشرفها وهو الحياء كما روي أن لكل دين خلقاً وخلق الإسلام الحياء، ومن الحياء حياة القلب، فكان ﷺ يأخذ العفو ويأمر بالعرف ويعرض عن الجاهلين، ولا يجزي بالسيئة السيئة؛ لكن يعفو ويصفح ويحسن"<sup>(١)</sup>.

## الموقف السادس: رفع ذكر النبي ﷺ خصوصاً، والأنبياء عموماً:

اختص الله الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بالاصطفاء على البشر، ورفعة ذكرهم في العالمين، وتعظيمهم من تعظيم الله عز وجل، قال تعالى: ﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾ "أي: أعلينا قدرك، وجعلنا لك الثناء الحسن العالي الذي لم يصل إليه أحد من الخلق، فلا يذكر الله عز وجل - غالباً - إلا ويذكر معه رسوله ﷺ، كما في شهادة الدخول في الإسلام، وفي الأذان، والإقامة، والخطب، وغير ذلك من الأمور التي أعلی الله بها ذكر رسوله محمد ﷺ، وله في قلوب أمته من المحبة والإجلال والتعظيم ما ليس لأحد غيره، بعد الله تعالى، فجزاه الله عن أمته أفضل ما جازى نبياً عن أمته"<sup>(٢)</sup>.

ومن صور ذلك النقاط التالية:

### أولاً: حسن الاصطفاء والاختيار:

قال تعالى: ﴿ مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ [الحج: ٧٤-٧٥]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ [سَمِيعٌ بَصِيرٌ] ﴿ [الحج: ٧٥]، وقال تعالى: ﴿ قَالَ يَمْوَسَىٰ إِلَىٰ أَصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ رِسَالَتِي وِجْهِي ﴾ [الأعراف: ١٤٤]، فإن الله "يعلم من يستحق الاصطفاء فيصطفيه ومن لا يستحق ذلك فيخذه ويرديه، ودل هذا على أن هؤلاء اختارهم لما علم من أحوالهم الموجبة لذلك فضلاً منه وكرماً، ومن الفائدة والحكمة في قصه علينا أخبار هؤلاء الأصفياء أن نُحِبَّهُمْ ونقتدي بهم، ونسأل الله أن يوفقنا لما وفقهم، وأن لا نزال نزري أنفسنا بتأخرنا عنهم وعدم اتصافنا بأوصافهم ومزاياهم الجميلة، وهذا أيضاً من لطفه بهم، وإظهاره الثناء عليهم في الأولين والآخرين، والتنويه بشرفهم، فله ما أعظم جوده وكرمه وأكثر فوائده

(١) نظم الدرر ٢٠ / ٢٩٢.

(٢) تيسير الكريم الرحمن ٩٢٩ بتصرف.

معاملته، لو لم يكن لهم من الشرف إلا أن أذكّارهم مخلدة ومناقبهم مؤبدة لكفى بذلك فضلاً<sup>(١)</sup>. وعن وائلة بن الأسقع رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: ((إن الله عز وجل اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل، واصطفى من بني إسماعيل كنانة، واصطفى من بني كنانة قريشا، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم، فأنا سيد ولد آدم ولا فخر، وأول من تنشق عنه الأرض، وأول شافع وأول مشفع))<sup>(٢)</sup>.

وظهر هذا من خلال حادثة الفيل وما فيها من توطئة لبعثة النبي ﷺ، قال الماوردي: "آية الرسول في قصة الفيل أنه كان في زمانه حملاً في بطن أمه بمكة؛ لأنه ولد بعد خمسين يوماً من الفيل، وبعد موت أبيه في يوم الإثنين الثاني عشر من شهر ربيع الأول، فكانت آية في ذلك من وجهين: أحدهما: أنهم لو ظفروا لسبوا واسترقوا، فأهلكهم الله تعالى لصيانة رسوله ﷺ أن يجري عليه السبي حملاً ووليداً.

**والثاني:** أنه لم يكن لقريش من التآله ما يستحقون به رفع أصحاب الفيل عنهم، لأنهم كانوا بين عابد صنم، أو متدين وثن، أو قائل بالزندقة، أو مانع من الرجعة، ولكن لما أراد الله تعالى من ظهور الإسلام، تأسياً للنبوة، وتعظيماً للكعبة.. ولما انتشر في العرب ما صنع الله تعالى في جيش الفيل تهيؤا الحرم وأعظموه، وزادت حرمة في النفوس ودانت لقريش بالطاعة، وقالوا: أهل الله قاتل عنهم وكفاهم كيد عدوهم، فزادوهم تشريفاً وتعظيماً وقامت قريش لهم بالرفادة والسدانة والسقاية، والرفادة مال تخرجه قريش في كل عام من أموالهم يصنعون به طعاماً للناس أيام منى، فصاروا أئمة ديّانين، وقادة متبوعين، وصار أصحاب الفيل مثلاً في الغابرين"<sup>(٣)</sup>.

**ثانياً: تعظيم الله أمر أذية الرسول ﷺ أو أزواجه بأذى أو همّ به:**

قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكُحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكَ كَانَتْ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب ٥٣]. وفي هذا "إشارة إلى ما ذكر من إيذائه ﷺ ونكاح أزواجه من بعده، وما فيه من معنى البعد؛ للإيذان ببعد منزلته في الشر والفساد، ﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾ في حكمه عز وجل، ﴿عَظِيمًا﴾ أي: أمراً عظيماً وخطباً هائلاً لا يقادر قدره، وفيه من تعظيمه تعالى لشأن رسوله ﷺ وإيجاب حرمة حياً وميتاً ما لا يخفى"<sup>(٤)</sup>. وقد تضمن ذلك الوعيد لمن تعرض لرسول الله ﷺ أو أزواجه بأذى أو همّ به، قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكُحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكَ كَانَتْ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب ٥٣] أي: "ليس لكم أذاه في شيء من الأشياء"<sup>(٥)</sup>، فقولته: ﴿ وَمَا كَانَ ﴾ أي: "ليس على النبي وإنما هو على التحريم والنهي"<sup>(٦)</sup>، وهذا النهي "عام في كل ما يتأذى به"<sup>(٧)</sup>. "وزواج أزواجه من بعده من جملة ما يؤذيه، فإنه ﷺ له

(١) تيسير الكريم الرحمن ص ١٢٩.

(٢) أخرجه أحمد في المسند ١٠٧/٤ ح (١٧٠٨) قال شعيب الأرنؤوط: صحيح دون قوله: ((اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل)) فقد تفرد محمد بن مصعب -وهو القرقساني- وهو ضعيف يعتبر به في المتابعات والشواهد، وهو عند مسلم برقم (٢٢٧٦).

(٣) أعلام النبوة للماوردي ص ١٨٥-١٨٩.

(٤) روح المعاني ٢٠٠/١٦.

(٥) معالم التنزيل ٦٧١/٦.

(٦) الجامع لأحكام القرآن ٣١١/٥.

(٧) البحر المحيط ١٧١/٩.



الله عن ذلك وبرأهمّ وطهرهمّ"<sup>(١)</sup>. ومن هذه الآية نعلم أن "العقوبة تجب على قدر النعمة، ألا ترى أن الله تعالى قال لأزواج النبي ﷺ: ﴿يَنْسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَحِشَةٍ مُّبِينَةٍ يُضَعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ﴾ فلما كانت نعمتهن أكثر جعل عقوبتهن أشد"<sup>(٢)</sup>. "هذه آداب أمر الله تعالى بها نساء النبي ﷺ، ونساء الأمة تبع لهن في ذلك، فقال مخاطباً لنساء النبي ﷺ بأنهن إذا اتقين الله كما أمرهن، فإنه لا يشبههن أحد من النساء، ولا يلحقهن في الفضيلة والمنزلة"<sup>(٣)</sup>. وأيضاً تعظيم الذنب على من يقتدي بهم الناس؛ فنساء النبي ﷺ هن قدوة لنساء العالمين فيجب أن يتصفن بأحسن الصفات ويتعدن عن كل الصفات والأعمال غير اللاتقة بهن لأن النساء لهن تبع.

#### رابعاً: رفع ذكر النبي ﷺ:

﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ "أي: أعلينا قدرك، وجعلنا لك الثناء الحسن العالي الذي لم يصل إليه أحد من الخلق، فلا يذكر الله عز وجل - غالباً - إلا ويذكر معه رسوله ﷺ، كما في شهادة الدخول في الإسلام، وفي الأذان، والإقامة، والخطب، وغير ذلك من الأمور التي أعلى الله بها ذكر رسوله محمد ﷺ. وله في قلوب أمته من المحبة والإجلال والتعظيم ما ليس لأحد غيره، بعد الله تعالى، فجزاه الله عن أمته أفضل ما جازى نبياً عن أمته"<sup>(٤)</sup>. " ورفع الذكر يكون بإلهام الناس لأن يذكروه بخير، وذلك بإيجاد أسباب تلك السمعة حتى يتحدث بها الناس، واستعير الرفع لحسن الذكر لأن الرفع جعل الشيء عالياً لا تناله جميع الأيدي ولا تدوسه الأرجل، فقد فطر ﷺ على مكارم أخلاقٍ يعزُّ وجود نوعها ولم يبلغ أحدٌ شأواً ما بلغه منها حتى لقب في قومه بالأمين"<sup>(٥)</sup>. " ورفع الذكر نعمة على الرسول ﷺ، وكذلك جميلٌ حسنٌ للقائمين بأمر الناس، وخمول الذكر والاسم حسن للمنفردين للعبادة"<sup>(٦)</sup>. ومن مظاهر رفع ذكره ﷺ:

- ١ - الصلاة على الرسول ﷺ في المواطن التي يشرع فيها رفعة لشأنه وتذكيراً بفضله.
- ٢ - وجوب احترام صحابته رضي الله عنهم.
- ٣ - وجوب احترام أزواجه وأهل بيته رضي الله عنهم.
- ٤ - وجوب العمل بكل ما روي عنه، والدفاع عنه وعن سنته: فذلك برهان على صدق محبة الله تعالى ومحبة رسوله ﷺ قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [آل عمران].
- ٥ - وجوب احترام أهل العلم وورثته ﷺ المبلغون عنه<sup>(٧)</sup>.
- ٦ - عدم الإسراع بقول أو فعل قبل أن يقول فيه الله تعالى أو رسول الله ﷺ: قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدُمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الحجرات] إشارة إلى احترام رسول الله وعدم تقديم قول أحد على قوله، وعدم إصدار الأحكام قبل معرفة قول رسول الله ﷺ فيها.

(١) فتح الباري ٤/٢٦٨.

(٢) الجامع لأحكام القرآن ٥/١٤٦.

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٦/٤٠٨.

(٤) تيسير الكريم الرحمن ٩٢٩ بتصرف.

(٥) التحرير والتنوير ٣٠/٤١٢.

(٦) المحرر الوجيز ١٥/٤٩٨.

(٧) للاستزادة حول الموضوع يمكن مراجعة بحث تفسير سورة الأحزاب دراسة موضوعية للمؤلف.

٧- التآدب مع رسول الله ﷺ في الاستماع والإنصات: قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ، بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الحجرات] قال القاضي أبو بكر بن العربي: "حرمة النبي ميتاً كحرمة حياً، وكلامه المأثور بعد موته في الرفعة مثال كلامه المسموع من لفظه، فإذا قرئ كلامه وجب على كل حاضر ألا يرفع صوته عليه ولا يعرض عنه، كما كان يلزمه ذلك في مجلسه عند تلفظه به" (١).

٨- لا يخاطب الرسول ﷺ باسمه وكنيته كما يخاطب الناس بعضهم بعضاً؛ قال تعالى: ﴿وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ، بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢٢﴾﴾ وقال تعالى: ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا﴾ [النور ٦٣].

٩- وجوب محبة الرسول ﷺ: وهذا من أعظم رفع الذكر مع رسول الله ﷺ حيث إنه المبلغ عن الله تعالى فهو أعظم الخلق إحساناً إلى المرء، فهو الذي أرشدنا إلى الصراط المستقيم، طريق الجنة قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥١﴾ صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ، مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِلَّا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ ﴿٥٢﴾﴾ [الشورى] (٢).

خامساً: رد الله تعالى أذية الكفار للنبي ﷺ في عدد من المواقف ومنها:

١- فعندما اتهموه بالشعر والكهانة رد الله عليهم بقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٥١﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُوْمَنُونَ ﴿٥٢﴾ وَلَا يَقُولُ كَاهِنٌ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٥٣﴾ تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الحاقة ٤٠-٤٣] فقد "نزه الله رسوله عما رماه به أعداؤه، من أنه شاعر أو ساحر، وأن الذي حملهم على ذلك عدم إيمانهم وتذكرهم، فلو آمنوا وتذكروا، لعلموا ما ينفعهم ويضرهم، ومن ذلك، أن ينظروا في حال محمد ﷺ، ويرمقوا أوصافه وأخلاقه، لرأوا أمراً مثل الشمس يدلهم على أنه رسول الله حقاً، وأن ما جاء به تنزيل رب العالمين، لا يليق أن يكون قول البشر بل هو كلام دال على عظمة من تكلم به، وجلالة أوصافه، وكمال تربيته لعباده، وعلوه فوق عباده، وأيضاً، فإن هذا ظن منهم بما لا يليق بالله وحكمته" (٣).

٢- وعندما قالوا عنه أنه هو من أتى بالقرآن من عند نفسه رد الله عليهم كما في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِن هَذَا إِلَّا إِفْكٌ أُفْتَرِيهِ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا ﴿٦١﴾ وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ أَكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمَلَّى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٦٢﴾ قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٦٣﴾﴾ [الفرقان: ٦]. "أي: وقال الكافرون بالله الذي أوجب لهم كفرهم أن قالوا في القرآن والرسول: إن هذا القرآن كذب كذبه محمد وإفك افتراه على الله وأعانه على ذلك قوم آخرون.

فرد الله عليهم ذلك بأن هذا مكابرة منهم وإقدام على الظلم والزور، الذي لا يمكن أن يدخل عقل أحد وهم أشد الناس معرفة بحالة الرسول ﷺ وكمال صدقه وأمانته وبره التام وأنه لا يمكنه، لا هو ولا سائر الخلق أن يأتوا بهذا القرآن الذي هو أجل الكلام وأعلاه وأنه لم يجتمع بأحد يعينه على ذلك فقد جاءوا بهذا القول ظلماً وزوراً.

ومن جملة أقاويلهم فيه أن قالوا: هذا الذي جاء به محمد ﷺ ﴿أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ أَكْتَتَبَهَا﴾ أي: هذا قصص

(١) الجامع لأحكام القرآن ١٦ / ٣٠٧ .

(٢) للاستزادة حول الموضوع يمكن مراجعة بحث بغية الطلاب في موضوعات سورة الأحزاب للمؤلف، مبحث: حقوق مع النبي ﷺ.

(٣) تيسير الكريم الرحمن ٨٨٤ .

الأولين وأساطيرهم التي تتلقاها الأفواه وينقلها كل أحد استنسخها محمد ﴿ فَقَد جَاءُوا طُلْمًا وَرُورًا ﴾ وهذا القول منهم فيه عدة عظام:

منها: رميهم الرسول الذي هو أبر الناس وأصدقهم بالكذب والجرأة العظيمة.  
ومنها: إخبارهم عن هذا القرآن الذي هو أصدق الكلام وأعظمه وأجله - بأنه كذب وافتراء.  
ومنها: أن في ضمن ذلك أنهم قادرون أن يأتوا بمثله وأن يضاهي المخلوق الناقص من كل وجه للخالق الكامل من كل وجه بصفة من صفاته، وهي الكلام.  
ومنها: أن الرسول قد علمت حالته وهم أشد الناس علما بها، أنه لا يكتب ولا يجتمع بمن يكتب له وقد زعموا ذلك.

فلذلك رد عليهم ذلك بقوله: ﴿ قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَفُورًا رَحِيمًا ﴾ ﴿٦﴾ أي: أنزله من أحاط علمه بما في السماوات وما في الأرض، من الغيب والشهادة والجر والسر ووجه إقامة الحجة عليهم أن الذي أنزله، هو المحيط علمه بكل شيء، فيستحيل ويمتنع أن يقول مخلوق ويتقول عليه هذا القرآن، ويقول: هو من عند الله وما هو من عنده ويستحل دماء من خالفه وأمواهم، ويزعم أن الله قال له ذلك، والله يعلم كل شيء ومع ذلك فهو يؤيده وينصره على أعدائه، ويمكنه من رقايمهم وبلادهم فلا يمكن أحدا أن ينكر هذا القرآن، إلا بعد إنكار علم الله، وهذا لا تقول به طائفة من بني آدم سوى الفلاسفة الدهرية<sup>(١)</sup>.

٣- وعندما أنكروا أن يكون الله أرسل نبيا من البشر ولم يكن ملكا ولا صاحب مال، واتهموه بأنه ساحر بقولهم: ﴿ وَقَالُوا مَا هَذَا الرَّسُولُ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا ﴿٧﴾ أَوْ يُنْفِثْ إِلَيْهِ كَنْزًا أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا ﴿٨﴾ [الفرقان: ٧ - ٨]. فرد الله عليهم بقوله: ﴿ أَنْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٩﴾ تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَلْ لَكَ فُضُورًا ﴿١٠﴾ [الفرقان: ٩ - ١٠].  
"فهذا من مقالة المكذبين للرسول الذين قدحوا بها في رسالته، وهو أنهم اعترضوا بأنه هلا كان ملكا أو مليكا، أو يساعده ملك أو يكون ذا مال مجموع من غير تعب، ﴿ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا ﴾ فيستغني بذلك عن مشيه في الأسواق لطلب الرزق. ﴿ وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا ﴾ هذا وقد علموا كمال عقله وحسن حديثه، وسلامته من جميع المطاعن.

ولما كانت هذه الأقوال منهم عجيبية جدا قال تعالى: ﴿ أَنْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ ﴾ وهي: أنه هلا كان ملكا وزالت عنه خصائص البشر؟ أو معه ملك لأنه غير قادر على ما قال، أو أنزل عليه كنز أو جعلت له جنة تغنيه عن المشي في الأسواق أو أنه كان مسحورا. ﴿ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴾ قالوا أقوالا متناقضة كلها جهل وضلال وسفه، ليس في شيء منها هداية بل ولا في شيء منها أدنى شبهة تقدر في الرسالة، فبمجرد النظر إليها وتصورها يجزم العاقل ببطلانها ويكفيه عن ردها، ولهذا أمر تعالى بالنظر إليها وتدبرها والنظر: هل توجب التوقف عن الجزم للرسول بالرسالة والصدق؟ ولهذا أخبر أنه قادر على أن يعطيك خيرا كثيرا في الدنيا كما قال تعالى: ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَلْ لَكَ

(١) تيسير الكريم الرحمن ٥٧٨ باختصار.

٤- ومما اتهمه المنافقون أنه يقبل كل ما يقال له، لا يميز بين صادق وكاذب كما في قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤَدُّونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ﴾ [التوبة: ٦١]. فرد الله عليهم بقوله: ﴿قُلْ أَذُنٌ خَيْرٌ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤَدُّونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [التوبة: ٦١]. أي: يقبل من قال له خيرا وصدقا، وأما إعراضه وعدم تعنيفه لكثير من المنافقين المعتذرين بالأعذار الكذب، فلسعة خلقه، وعدم اهتمامه بشأنهم، وأما حقيقة ما في قلبه ورأيه، فقال عنه: ﴿يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: يعلم الصادق من الكاذب، وإن كان كثيرا ما يعرض عن الذين يعرف كذبهم وعدم صدقهم، ﴿وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ﴾ فإنهم به يهتدون، وبأخلاقه يقتدون. وأما غير المؤمنين فإنهم لم يقبلوا هذه الرحمة بل ردوها، فحسروا دنياهم وآخرتهم، ﴿وَالَّذِينَ يُؤَدُّونَ رَسُولَ اللَّهِ﴾ بالقول أو الفعل ﴿لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ في الدنيا والآخرة، ومن العذاب الأليم أنه يتحتم قتل مؤذيه وشاتمته<sup>(٢)</sup>.

(١) المصدر السابق باختصار.

(٢) تيسير الكريم الرحمن ٣٤٢ باختصار.

## الخاتمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، وبعد:  
الشكر لله على هذا التطواف الموجز على قصص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام في القرآن، بغية البحث عن مواقف تعظيم الله فيها، واستلهاهم هدايات القرآن منها: فوجدت بجزراً لا تُرى سواحله، ولا أطيع بلوغ شطآنه، فأثرت الاختصار بالوقوف على ست محطات، تأملت خلالها ثلاثة وثلاثين موقفاً - من غير استقصاء ولا ترتيب - كلها تدل على:

- تعظيم الله لشأن أنبيائه، وتعظيم الأنبياء لربهم العظيم جلّ جلاله، وأنه لا يقوم إيمانٌ بلا تعظيم.
  - أن دعوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام دعوة واحدة، من لدن آدم عليه السلام إلى محمد عليه السلام؛ كما يقول الرسول ﷺ: ((والأنبياء إخوة لعلات أمهاتهم شتى ودينهم واحد))<sup>(١)</sup>، وأنهم اتفقوا على تعظيم الله قولاً وسلوكاً.
  - أن هذه الوحدة بين الأنبياء عليهم السلام عموماً - وفي تعظيم الله خصوصاً - تستدعي من الأمة الاقتداء والتأسي بها فيما بينهم، تعظيماً لله خالقهم، ودرءاً للفرقة والخلاف، قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٩٢].
  - أمر الله سبحانه وتعالى نبيه محمداً ﷺ أن يقتدي بمنهج الأنبياء، وأن يقتفي أثرهم، وأن يسير على سنتهم، والخطاب للنبي ﷺ خطاب لأمته من بعده إلى قيام الساعة.
  - لا تكاد تقرأ جزءاً من القرآن الكريم إلا وتجد قصة نبي من الأنبياء أو الإشارة إليه وإلى ما جرى بينه وبين قومه، وذلك دعوة لمن يقرءون القرآن عامة وللمسلمين خاصة إلى أن يسيروا وفق منهج الأنبياء وأن يرتسموا معالمه ويسلكوا خطاه.
  - أهمية الحديث عن سير الأنبياء وقصصهم في القرآن، عرضاً وتحليلاً وتأصيلاً لمنهج تعظيم الله تعالى وتوحيده، والدعوة إلى دينه، فالبحوث في مجال تعظيم الله، ومجال استلهاهم هداياتها بحاجة لمزيد عناية وتركيز.
  - أنّ من أسس الإيمان بالله: أن يمتلأ القلب تعظيماً لله وإجلالاً له، فيعلم أن له الأسماء الحسنى والصفات العلى، فهو العليم بخلقه لا تخفى عليه خافية، يحصي ويبيد ويعيد، فتكون حركاته وسكناته لله.
  - لم يقدر الله جل وعلا حق قدره من هان عليه أمره فعصاه، ونهى فارتكبه، وحقه فضيعه، وذكره فأهمله، وغفل قلبه عنه، وكان هواه أثر عنده من طلب رضاه، وطاعة المخلوق عنده أولى من طاعة الله! فقد كان نصيبهم المقت والهلاك في قصص الأنبياء - يحدزنا الله ما صنعوا.
  - لا بد أن يكون في القلب تعظيم لرب العزة والجلال، لا بد أن يكون هناك علمٌ بالله جل وعلا، وهذا ينبجم عن تدبر القرآن وتلاوة آياته بقلبٍ خاشعٍ مقبلٍ على ربه وسمعٍ حاضرٍ؛ فإذا تذكر ما لله من صفات الجلال والجمال والكمال زاد حباً لربه تبارك وتعالى، ومن جمع حب الله، والخوف منه، والرجاء فيما عنده وفق إلى صراط مستقيم.
  - رسل الله عليهم الصلاة والسلام رحمة للعالمين: للبرّ منهم والفاجر، فمن آمن به تمت له الرحمة في الدنيا والآخرة، ومن كفر به كانت له العقوبة في الآخرة، وينال منها في دنياه كذلك.
- أسأل الله لي ولكم التوفيق والسداد، إن ربي لسميع الدعاء، وصلى الله على محمد وعلى آله.

(١) صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله {وإذ في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها} [مريم: ١٦] (٣٤٤٣) واللفظ له، ومسلم، كتاب الفضائل، باب فضائل عيسى عليه السلام (٢٣٦٥).

## ثبت المراجع

- ١- القرآن الكريم.
- ٢- أحكام القرآن - محمد بن عبدالله المعروف بابن العربي - تحقيق: علي بن محمد الجاوي - دار المعرفة - بيروت.
- ٣- أضواء البيان- محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي - دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت - لبنان- الطبعة : ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م.
- ٤- أعلام النبوة- أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي - تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي - نشر: دار الكتاب العربي - بيروت- ط الأولى ، ١٩٨٧ م.
- ٥- أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير- أبو بكر الجزائري : جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر - مكتبة العلوم والحكم- المدينة المنورة- السعودية- ط-٥- (١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م).
- ٦- البحر المحيط - محمد بن يوسف أبي حيان الأندلسي - دار الفكر - بيروت ط (١٤٠٣هـ).
- ٧- بحوث في قصص القرآن : عبدالحافظ عبد ربه ، دار الكتاب اللبناني ، دط ، دت.
- ٨- البداية والنهاية - الحافظ ابن كثير الدمشقي - دار الكتب العلمية - بيروت - ط (١٤٠٧هـ).
- ٩- بغية الطلاب من موضوعات سورة الأحزاب -دراسة موضوعية- د.محمد بن عبدالعزيز العواجي- دار طيبة الخضراء - مكة المكرمة ط (١٤٣٠هـ).
- ١٠-التحرير والتنوير - ابن عاشور - الدار التونسية للنشر - تونس - ١٩٨٤ م.
- ١١- تفسير ابن باديس (في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير)- عبدالحميد محمد بن باديس الصنهاجي-علق عليه: أحمد شمس الدين -نشر: دار الكتب العلمية بيروت- لبنان- ط: الأولى، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م.
- ١٢- تفسير القرآن العظيم - إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي - تحقيق سامي بن محمد السلامة - دار طيبة للنشر والتوزيع - ط (١٤١٨هـ-١٩٩٧م).
- ١٣- تفسير القرآن العظيم- عبدالرحمن بن أبي حاتم الرازي- تحقيق: أسعد محمد الطيب- مكتبة نزار مصطفى الباز - مكة المكرمة- ط (١٤١٧هـ).
- ١٤-التفسير الكبير (تفسير الفخر الرازي المشتهر بمفاتيح الغيب) - فخر الدين محمد بن عمر الرازي- دار الفكر- بيروت - ط (١٤٠٥هـ).
- ١٥- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان - عبدالرحمن بن ناصر السعدي - تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق- مؤسسة الرسالة - بيروت - ط (١٤١٦هـ-١٩٩٦م).
- ١٦- تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن- عبد الرحمن بن ناصر السعدي - طبع ونشر وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - السعودية - ط - ١٤٢٢ هـ.
- ١٧- جامع البيان عن تفسير آي القرآن - محمد بن جرير الطبري - تحقيق د.عبدالله بن عبدالمحسن التركي - مركز البحوث والدراسات الإسلامية - القاهرة - ط (١٤٢٢ هـ ٢٠٠١م).
- ١٨- جامع الترمذي - محمد بن عيسى الترمذي - بيت الأفكار الدولية للنشر والتوزيع - الرياض - (١٤١٩هـ/١٩٨٩م)- اعتناء فريق بيت الأفكار الدولية.
- ١٩- الجامع لأحكام القرآن - محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي - دار الكتاب العربي.
- ٢٠- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني - شهاب الدين محمود الألوسي البغدادي- دار الفكر- بيروت - ط ١٤٠٣ هـ.
- ٢١- سنن ابن ماجه - محمد بن يزيد ابن ماجه القزويني- بيت الأفكار الدولية للنشر والتوزيع-الرياض - (١٤١٩هـ/١٩٨٩م)- اعتناء فريق بيت الأفكار الدولية.
- ٢٢- سنن أبي داود - سليمان بن الأشعث السجستاني- بيت الأفكار الدولية للنشر والتوزيع-الرياض - (١٤١٩هـ/١٩٨٩م)- اعتناء فريق بيت الأفكار الدولية.
- ٢٣- صحيح البخاري: أبو عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: مصطفى البغا، دمشق، دار ابن كثير، ١٤٠٧ هـ.
- ٢٤- صحيح سنن ابن ماجه: ناصر الدين الألباني، مكتب التربية العربية لدول الخليج الرياض، الطبعة الثالثة، ١٤٠٨ هـ-

- ١٩٨٨ م.
- ٢٥- صحيح سنن أبي داود: ناصر الدين الألباني، مكتب التربية العربية لدول الخليج الرياض، الطبعة الثالثة، ١٤٠٨ هـ-١٩٨٨ م.
- ٢٦- صحيح سنن الترمذي: ناصر الدين الألباني، مكتب التربية العربية لدول الخليج الرياض، الطبعة الثالثة، ١٤٠٨ هـ-١٩٨٨ م.
- ٢٧- صحيح مسلم: مسلم بن الحجاج، ت ٢٦١ هـ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، البابي الحلبي بمصر ١٩٥٥.
- ٢٨- ضعيف سنن ابن ماجه - محمد ناصر الدين الألباني - تعليق وفهرسة زهير الشاويش - المكتب الإسلامي - بيروت - ط١ (١٤٠٨ هـ-١٩٨٨ م).
- ٢٩- ضعيف سنن الترمذي- محمد ناصر الدين الألباني - تعليق وفهرسة زهير الشاويش - المكتب الإسلامي - بيروت - ط١ (١٤٠٨ هـ-١٩٨٨ م).
- ٣٠- العظمة - لأبي الشيخ عبدالله بن محمد بن جعفر بن حيان الأصبهاني - تحقيق: رضاء الله بن محمد إدريس المباركفوري - نشر: دار العاصمة - الرياض - ط الأولى ، ١٤٠٨ هـ.
- ٣١- فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: محب الدين الخطيب، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، القاهرة، دار الريان للتراث، ١٤٠٧ هـ.
- ٣٢- فتح البيان في مقاصد القرآن- أبو الطيب محمد صديق خان الحسيني القنوجي - راجعه: عبدالله بن إبراهيم الأنصاري - نشر: المكتبة العصرية للطباعة والنشر، صيدا - بيروت - ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م .
- ٣٣- الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان للإمام شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر (ابن قيم الجوزية) - دار مكتبة الهلال - بيروت - ١٩٨٧ م.
- ٣٤- القصص القرآني في منطوقه ومفهومه - عبدالكريم الخطيب - ط: السنة المحمدية - القاهرة ١٣٨٤ هـ ١٩٦٤ م.
- ٣٥- لباب التأويل في معاني التنزيل (تفسير الخازن) - علاء الدين ابراهيم البغدادي الخازن: المكتبة التجارية الكبرى ، القاهرة .
- ٣٦- لسان العرب - محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري - دار صادر - بيروت - ط ١.
- ٣٧- محاسن التأويل - محمد جمال الدين بن محمد سعيد القاسمي - ت: محمد باسل عيون السود - نشر: دار الكتب العلمية - بيروت - ط: الأولى - ١٤١٨ هـ.
- ٣٨- المحرر الوجيز في الكتاب العزيز - عبد الحق بن عطية الأندلسي - مؤسسة دار العلوم - الدوحة - ط١ (١٣٩٨ هـ-١٩٧٧ م).
- ٣٩- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين - محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله - دار الكتاب العربي - بيروت - الطبعة الثانية ، ١٣٩٣ - ١٩٧٣ .
- ٤٠- مسند الإمام أحمد - أحمد بن حنبل الشيباني - مؤسسة قرطبة - القاهرة - مذيّل بأحكام شعيب الأرنؤوط عليها.
- ٤١- معالم التنزيل معالم التنزيل - أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي - حققه محمد عبدالله النمر، عثمان جمعة ضميرية، سليمان مسلم الحرش - دار طيبة - الرياض - ط ٤ (١٤١٧ هـ ١٩٩٧ م).
- ٤٢- مفردات ألفاظ القرآن- الراغب الأصفهاني- تحقيق: صفوان عدنان داوودي- دار القلم- دمشق- ودار الشامية- بيروت- ط١ (١٤١٢ هـ ١٩٩٢ م).
- ٤٣- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور - بهاء الدين إبراهيم بن عمر البقاعي - دار الكتاب الإسلامي - القاهرة - ط٢ (١٤١٣ هـ).
- ٤٤- الوسيط في تفسير القرآن المجيد- أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي- تحقيق: عادل أحمد عبدالموجود/ وآخرون- نشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان- ط: الأولى، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م.

## فهرس الموضوعات

ي

|    |  |
|----|--|
| ٢  | المقدمة .....  |
| ٢  | سبب اختيار الموضوع .....   |
| ٢  | منهجية البحث : .....   |
| ٣  | خطة البحث .....  |
| ٥  | تمهيد في أهمية تعظيم الله، وأثر قصص الأنبياء .....                                       |
| ٥  | مفهوم القصة في القرآن الكريم .....   |
| ٦  | أهمية القصة في القرآن الكريم .....   |
| ٨  | <u>المبحث الأول: مواقف من تعظيم الله في قصص آدم ونوح وهود</u> .....                      |
| ٨  | الموقف الأول: تعظيم المعبود سبحانه وتعالى .....  |
| ٨  | الموقف الثاني: تعظيم معصية الله وخطرها .....   |
| ٩  | الموقف الثالث: تعظيم الله أن تنتهك حرمانه ومعالجة الذنب .....                            |
| ١٠ | الموقف الرابع: عرض الأدلة والبراهين التي تدل على عظمة الله .....                         |
| ١٠ | الموقف الخامس: علاج مشكلة الكبر والتبرف .....  |
| ١٠ | الموقف السادس: إرشادهم للحق ونهيهم عن الغي .....   |
| ١١ | الموقف السابع: استعمال أسلوب الوعظ وتكراره .....   |
| ١٢ | <u>المبحث الثاني: مواقف من تعظيم الله في قصص الخليل إبراهيم عليه السلام</u> .....        |
| ١٢ | الموقف الأول: الدعاء والتضرع لله عز وجل مهما كان العمل .....                             |
| ١٢ | الموقف الثاني: شهود المنّة لله في كل الأحوال تعظيماً لله .....                           |
| ١٢ | الموقف الثالث: العمل بالواجب وإشهار ذلك ليكون قدوة في تعظيم الله .....                   |
| ١٣ | الموقف الرابع: الحرص والشفقة والرحمة بالمدعويين تعظيماً لله .....                        |
| ١٣ | الموقف الخامس: تعلم التفكير في آيات الله والاعتبار والتأثر الإيجابي .....                |
| ١٤ | <u>المبحث الثالث: مواقف من تعظيم الله في قصة لوط عليه السلام مع قومه</u> .....           |
| ١٤ | الموقف الأول: تعظيم الذنب وبيان خطره على مرتكبه .....                                    |
| ١٤ | الموقف الثاني: إيجاد البدائل الشرعية عن المحرمات .....                                   |
| ١٤ | الموقف الثالث: إلقاء الخطب والمواعظ في الميادين العامة .....                             |
| ١٤ | الموقف الرابع: الترغيب والترهيب .....  |
| ١٤ | الموقف الخامس: توجيه المخالف والمخطئ بالحسنى .....                                       |
| ١٤ | الحوار والمناقشة .....   |
| ١٥ | أسلوب الاستفهام الاستنكاري .....   |
| ١٥ | الموقف السادس: عدم المداهنة فيما يخالف تعظيم الله بصراحة ووضوح .....                     |
| ١٥ | إعلان البراءة من عملهم .....   |
| ١٥ | الهجرة .....   |
| ١٥ | الموقف السابع: التزام الحكمة والموعظة الحسنة في الدعوة والتعليم والتربية .....           |
| ١٦ | <u>المبحث الرابع: مواقف من تعظيم الله في قصص يعقوب ويوسف عليهما الصلاة والسلام</u> ..... |
| ١٦ | الموقف الأول: المسامحة والعفو .....  |

|    |   |
|----|---|
| ١٦ | الموقف الثاني: حسن التوكل والتذكير بالله                                    |
| ١٦ | الموقف الثالث: ترك الدنيا وإيثار الأشد تعظيماً لحرمات الله                  |
| ١٧ | الموقف الرابع: الحرص على مصلحة الأفراد وصالحهم في الدنيا والآخرة            |
| ١٨ | الموقف الخامس: اغتنام الفُرص  |
| ١٩ | المبحث الخامس: مواقف من تعظيم الله في قصص موسى وهارون عليهما الصلاة والسلام |
| ١٩ | الموقف الأول: استعمال القول اللين   |
| ١٩ | الموقف الثاني: الحوار والمناقشة بالحسنى للمخالف والمخطئ                     |
| ١٩ | الموقف الثالث: شدة تعظيم الله سبحانه وتعالى                                 |
| ٢١ | المبحث السادس: مواقف من تعظيم الله في قصص خاتم الأنبياء محمد ﷺ              |
| ٢١ | الموقف الأول: التوحيد وتطبيقاته   |
| ٢٢ | الموقف الثاني: التقوى جماع الخير  |
| ٢٣ | الموقف الثالث: عبادة التسييح والحمد   |
| ٢٣ | تعظيم الله تعالى بالتسييح   |
| ٢٤ | التسييح عند الكرب   |
| ٢٤ | التسييح عند النصر   |
| ٢٥ | الأمر بالتسييح قبل طلوع الشمس وقبل غروبها                                   |
| ٢٥ | التسييح عند القيام من المجلس وللصلاة ومن النوم                              |
| ٢٦ | الموقف الرابع: حسن التوكل   |
| ٢٦ | الاستدلال بوحداية الله على الأمر بالتوكل                                    |
| ٢٦ | تثبيت الله نبيه على الحق بأمر بالتوكل                                       |
| ٢٧ | التوكل على الله في الحرب  |
| ٢٧ | التوكل على الله في العبادة  |
| ٢٧ | التوكل على الله في كل أمر عزم عليه  |
| ٢٨ | الموقف الخامس: حسن الخلق  |
| ٢٨ | الموقف السادس: رفع ذكر النبي ﷺ خصوصاً، والأنبياء عموماً                     |
| ٢٨ | أولاً: حسن الاصطفاء والاختيار   |
| ٢٩ | ثانياً: تعظيم الله أمر أذية الرسول ﷺ أو أزواجه بأذى أو هم به                |
| ٣٠ | ثالثاً: مضاعفة الأجور لأهل بيته، ومضاعفة المؤاخدة لهم                       |
| ٣١ | رابعاً: رفع ذكر النبي ﷺ   |
| ٣٢ | خامساً: رد الله تعالى أذية الكفار للنبي ﷺ                                   |
| ٣٢ | اتهموه بالشعر والكهانة  |
| ٣٢ | قالوا عنه أنه هو من أتى بالقرآن   |
| ٣٣ | أنكروا أن يكون الله أرسل نبياً من البشر                                     |
| ٣٤ | اتهمه المنافقون أنه يقبل كل ما يقال له                                      |
| ٣٥ | الخاتمة   |
| ٣٦ | ثبت المراجع   |
| ٣٧ | فهرس الموضوعات  |